

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على سيد المرسلين
و خاتم النبيين محمد و آله و صحبه أجمعين .

و بعد ١ فهذه الرسالة التي تشرف بتقديمها و تقرب إلى
الله بعرضها ، فصل أضيف إلى كتابنا « النبوة و الأنبياء في ضوء
القرآن » وهو مجموع محاضرات ألقاها المؤلف في الجامعة الإسلامية
في المدينة المنورة في ذي القعدة ١٣٨٢ هـ وقد كانت ست محاضرات
حضرها و استمع إليها أبناء الجامعة و أساتذتها و نخبة من كبار
العلماء و أعيان المدينة ، و تلقيت بالقبول و حسن الاصغاء و صدرت ثلاث
طباعات للكتاب أولاها في لكةنت و الثانية في القاهرة ، و الثالثة
في بيروت ، و الطبعة الرابعة في طريقها إلى الصدور في دمشق .

و كانت طبيعة الموضوع تقتضي أن يكون البحث في اختتام
النبوة و كون محمد رسول الله ﷺ هو آخر الرسل و خاتم
النبيين ، هو نهاية المطاف في هذا الكتاب و مسك الختام ولكن

المؤلف أعجلك الظروف عن الحديث في هذا الموضوع الذي لا يقبل
المر السريع و النظر العابر ، و كان يتحين فرصة يتفرغ فيها لهذا
الموضوع الجليل و ينصف له إصاف رائد للحق و باحث على ،
و تحول مسؤولاته الدعوية وأشغاله التأليفية دون تحقيق هذه الرغبة
حتى مضى على ذلك أكثر من عقد من السنين .

وقد أثار بعض المفرضين في الزمن الأخير حول هذه العقيدة
قحما و جعلوها من القضايا التي تحتاج إلى عرض جديد و إقناع
مزيد بعدما كانت قضية مسلمة بديهية ، وقد كان المؤلف يشعر بمسؤوليته
في هذا المجال العلى ويشعر برغبة قوية في الاسهام في هذا الموضوع
مع كثرة ما كتب فيه في أوائل هذا القرن و منتصفه .

و قد كان من الممكن أن يتأجل ذلك لوقت آخر و لكن
القضية دخلت في الزمن الأخير في المرحلة الحاسمة التي لا تحتمل تأجيلا .
و أصدرت أكبر مملكة إسلامية حكمها في هذه القضية (١) ذات

(١) أراد بها حكومة باكستان التي أعلنت فصل القاديانيين عن المسلمين : و اعتبارهم
أقليات غير مسلمة : و مما يجب الاعتراف به أن راجعة العالم الاسلامي في مكة
المكرمة قد كان لها دور إيجابي و فعال في إنارة العقول حول القاديانية و تزويد
العالم الاسلامي بالمعلومات الصحيحة كما كان لعلماء باكستان - و في مقدمتهم وعلى
رأسهم العلامة محمد يوسف النوري و زعماء الجماعات الاسلامية - فضل كبير في
في الوصول إلى هذه النتيجة التي كان المسلمون يتوخونها منذ زمن بعيد .

الصلة العميقة الوثيقة بمصير الاسلام و المسلمين ، و مستقبل هذا
الدين ، وإن كانت القضية قد انتهت على الصعيد الحكومى والادارى
ظانها فى حاجة إلى أن تستهى على الصعيد العلمى و الفكرى ، وليس
هذا البحث الذى يراه القارى إلا محاولة لتحقيق هذا الغرض
و مساهمة من جدى صغير فى جهاد كبير .

ونشر هذا الفصل مفرداً نعمة القائدة ، ونسأل الله أن ينفع
به الاسلام و المسلمين و يزيدهم إيماناً إلى إيمان و يقيناً إلى يقين
و يداوى بها القلوب المريضة والعقول اراثنة إنه ولى التوفيق

أبو الحسن على الحسنى الندوى

المجمع العلمى الاسلامى

ندوة العلماء ، لكهنؤ (الهند)

١٧ من شوال المكرم ١٣٩٤هـ

٢٤ من أكتوبر ١٩٧٤م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

النبي الخاتم

دين يبلغ ذروة الكمال ، و أمة
تضطلع بأعباء خلافة النبوة :

تمت إرادة الله العليمة الحكيمة ، القادرة القاهرة ، في
إبلاغ بهذا الدين — الذي سماه الاسلام — إلى حيث أرادته
حكيمته و رحمته ، و اقتضته حاجة البشرية على اختلاف الزمان
و المكان ، و بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الرسالة ،
و أدى الأمانة ، و جاهد في الله حق جهاده ، و ربى أمة تقلدت
مهام النبوة ومسؤولياتها من غير نبوة ، و كلفت النهوض بالدعوة ،
و صيانة الدين من التحريف ، و الوصاية على العالم ، و الحسبة
على البشرية في كل زمان و مكان ، و في كل عصر و مصر ،
« كنتم خير أمة أخرجت للناس » تأمرون بالمعروف و تنهون
عن المنكر و تؤمنون بالله (١) .

و تحقق في علم الله ، و في قضائه و قدره وجود خلفاء
الرسل ، و أئمة الهدى ، و أطواد في العلم واليقين ، ينفون عن هذا

(١) - سورة آل عمران : ١١٠ .

الدين في كل زمان ، تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، و أخبر بذلك لسان النبوة ، فقال : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم ، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك (١) .

إعلان انتهاء سلسلة النبوة على محمد صلى الله عليه وآله وسلم و انقطاعها بعده :

و لما تحقق كل ذلك في عالم التكوين و التشريع — و قد سبق به علم الله و قضاؤه — أعلن انتهاء تعليم البشر العقائد و الشرائع ، و ما توقف عليه سعادتهم في الدنيا ، و نجاتهم في الآخرة بالنبي الذي يأتيه الوحي من الله عن طريق جبريل « الروح الأمين » خاصة ، و الملائكة عامة (٢) .

و ذلك معنى النبوة ، فيقول الله تعالى . « ينزل الملائكة

(١) رواه مسلم عن ثوبان .

(٢) يظهر من تسع الآيات القرآنية ، والسنة الإلهية فيما يختص بالأنبياء المرسلين أن جبريل هو الواسطة غالباً . و في عامة الأحوال بين الله تبارك و تعال : و بين الأنبياء في وحي النبوة و الشرائع ، و تدل على ذلك دلالة واضحة الآيات التي نقلناها ، و لكن أكثر المتكلمين و من صنف في العقائد لم يوهوا بكون جبريل هو الواسطة الغالبة في شأن النبوة و الرسالة و اقتصروا على ذكر الوحي .

بالروح من أمره على من يشاء من عباده ، أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون ، (١) ، و يقول : « و إنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين (٢) » ، و يقول : وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب . أو يرسل رسولا فيوحي بأذنه ما يشاء إنه على حكيم (٣) » ، و يقول : « قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى لالسليين (٤) » ، و يقول : « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى عليه شديد القوى ذو مرة فاستوى » و هو بالآفاق الأعلى (٥) » ، و يقول : « قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزل به على قلبك بأذن الله مصدقاً لما بين يديه و هدى و بشرى للزمنين (٦) » ، و يقول : « إنه لقول رسول كريم • ذى قوة عند ذى العرش مكين • مطاع ثم أمين • و ما صاحبكم بمجنون • و لقد رآه بالآفاق المبين • و ما هو على الغيب بضنين • و ما هو بقول شيطان رجيم (٧) » .

-
- (١) النحل : ٢ .
 (٢) الشعراء : ١٩١ - ١٩٥ .
 (٣) سورة الشورى : ٥١ ، و ذهب أكثر المفسرين إلى أن المراد بقوله : و يرسل رسولا ، الملك .
 (٤) سورة النحل : ١٠٢ .
 (٥) النجم : ٣ - ٧ .
 (٦) البقرة : ٩٧ .
 (٧) سورة التكاوير : ١٩ - ٢٥ .

أما العلوم الوجدانية و التلقائية ، و الحكم و المعارف ،
و بعض الأخبار التي يلهمها بعض النفوس الزكية أو أصحاب الرياضات
و المجاهدات ، و الغواصون في العلوم و الحقائق ، وما قد يسمعه
بعض الناس من هواجس و نداءات غيبية ، فليست من النبوة في
شيء ، و قد يسمعونها بعض أصحاب الرياضات من غير المسلمين ،
و قد استفاض ذلك ، فانكاره من المكابرة ، وليست دليلاً للهداية ،
فضلاً عن النبوة والرسالة ، وقد صح في حديث صحيح أن رسول
الله صلى الله عليه و آله و سلم قال : « لقد كان فيمن كان قبلكم
من بني إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء (١) » ،
و أعلن أن النبوة قد ختمت بمحمد ﷺ .

(١) رواه البخارى عن أبي هريرة في مناقب عمر رضى الله تعالى عنه .

قد صرح الشيخ محي الدين ابن عربى الحاتمي الطائى الأندلسى (م ٥٦٣٨) بأن
إلهام الأولياء وأصحاب الرياضات محصور في العلوم والأخبار ؛ لا في الأحكام
و الشرائع ؛ و ما كان من ذلك فلا يعتمد عليه ؛ و لا يعبأ به أصلاً
(راجع « الفتوحات المكية » ، باب ٣١٠ : ج ٣ ص ٥٠ و ج ٢ ، باب :
٢٨٣ ، ص ٨٢٣) .

وقال شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية (م ٧٢٨) في كتاب
النبوءات بعد ما ذكر أن الوحي يتناول وحى الأنبياء وغيرهم ، كالمحدثين الملهمين
« فهؤلاء المحدثون الملهمون المخاطبون يوحى إليهم هذا الحديث الذى هو لهم
خطاب وإلهام ؛ و ليسوا بأنبياء مصومين مصدقين في كل ما يقع لهم . فانه

و ذلك كله في عبارات صريحة مكشوفة ، لا يتطرق إليهما شك ، و لا ترتقى إليها شبهة ، و لا يجد متسعاً للنقاش فيها . وإثارة الشكوك حولها إلا من في قلبه مرض ، أو كان له غرض .

أساليب القرآن و طرقه في تقرير
هذه الحقيقة و غرس هذه العقيدة :

و اتخذ القرآن لذلك أساليب متنوعة بليغة ، عميقة الأثر في النفس ، كبيرة القيمة عند العقل .

منها ما يختص بصاحب الرسالة الذي ختم به الأنبياء ، وانتهت عليه سلسلة النبوات ، فقال :

« ما كان محمد أباً أحد من رجالكم و لكن رسول الله وخاتم النبيين ، وكان الله بكل شئ عليماً » (١) . و قد استخدم القرآن لغرس هذه العقيدة و الفكرة لغة و تعبيرات ألفها العرب الذين نزل في لغتهم القرآن ، و كلّفوا فهمه ، ثم تبليغه إلى العالم

— قد يوسوس لهم الشيطان بأشياء لا تكون من إيماء الرب : بل من إيماء الشيطان ، و إنما يحصل الفرقان بما جاءت به الأنبياء إلخ ص ٦٧) . و قد توسع في هذا الباب محققو الصوفية ، و أئمة المعرفة و التحقيق ؛ و من أراد التفصيل فعليه بكتب القوم ؛ خاصة رسائل الامام أحمد بن عبد الواحد

السرهندي (م ١٠٣٤ هـ)

(١) الأحزاب : ٤٠ ،

وهي اللمة التي كانوا يتفاهمون بها ، ويقضون بها حاجة في نفوسهم
 ولم تكن في لغتهم - على سعتها و غناها - كلمة أدل على مفهوم
 الانتهاء و الاكمال من كلمة « الخاتم » وذلك به الستم في حديثهم
 و شعرهم ، و لا تعرف لغتهم للخاتم و الختام و الختم معنى غير
 ما أراده القرآن من أن رسول الله ﷺ هو آخر الرسل و خاتم
 الأنبياء الذي لا نبي بعده (١) .

صفات لا تليق إلا بالنبي
 الخالد و الرسول الخاتم :

و كذلك قد وصف القرآن صاحب الرسالة الأخيرة الذي
 ختم به الأنبياء بصفات تشير إشارة بليغة إلى خلود رسالته ، و كونه
 قدوة صالحة ، و أسوة حسنة ، في كل عصر و جيل ، و لكل
 طبقة من الناس ، من غير تقييد بزمان أو مكان ، فقال : لقد
 كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله و اليوم
 الآخر ، و ذكر الله كثيراً ، (٢) ، و قال : قل إن كنتم

- (١) راجع : لسان العرب ، لابن منظور . و صحاح العربية للجوهري . و المحكم ،
 لابن سيدة . و القاموس المحيط للفيروز آبادي . و شرحه : تاج العروس ،
 للزبيدي . و المراجع اللغوية و كتب التفسير المعتمد عليها .
 (٢) سورة الاحزاب : ٢١ .

تَجْعُونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يَحْيِيكُمْ اللَّهُ وَ يَقْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ
 رَحِيمٌ • (١) وَقَالَ : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً
 وَ نَذِيراً وَ دَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِأَذْنِهِ وَ سَرَاجاً وَ ضِئِيراً » (٢) •

و ليس من عادة العقلاء ، و الأدباء البلغاء - فضلاً عن
 العليم الخبير ، علام الغيوب - أن يسبقوا على ملك راحل
 و سلطان زائل نعوذاً و ألقاباً لا تليق إلا بمن استقر حكمه ،
 واستتب أمره • و ليس من عادة الحكماء الذين ينظرون في عواقب
 الأمور ، و يزفون الكلام وزناً دقيقاً أن يبالغوا في التهنية على
 مولود عرفوا أن حياته قصيرة و أنفاسه معدودة (٣) •

(١) سورة آل عمران : ٣١ •

(٢) سورة الأحزاب : ٤٦ •

(٣) لذلك أنكر شيخ الاسلام ابن تيمية أن يكون إسحاق هو الذي أمر أبوه
 إبراهيم بذبحه ، فان ذلك يتنافى مع حكمة الله تعالى في التبشير بقاء ذريته • وفقد
 قال كما نقله تليذه ابن قيم : « وكيف يسوغ أن يقال إن الذبيح إسحاق ،
 والله تعالى قد بشر أم إسحاق به و بابنه يعقوب ؛ فقال الله تعالى عن الملائكة
 أنهم قالوا لإبراهيم لما أتوه بالبشرى : « لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط ،
 وامرأته قائمة ، فضحكك فبشرناها بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب » ، فحال
 أن يشرها بأنه يكون له ولد ، ثم يأمره بذبحه • (زاد المعاد ج ١ ص ١٦)

القدوة الدائمة للأجيال البشرية كلها ، و كيف أمكن ذلك ؟

ولما كان محمد رسول الله ﷺ هو القدوة الصالحة ، والأسوة
الحسنة لطبقات الناس جميعاً ، و للأجيال البشرية على اختلاف
الزمان و المكان ، اتجهت عناية الله إلى حفظ أخباره و آثاره ،
و صفاته و أخلاقه و عاداته ، و تصرفاته ، و صرف الله قلوب
المسلمين إلى تتبع كل ما يصدر عنه من حركة و سكون ، و أخذ
و رد ، و عادة و عبادة ، و ألهمهم الاعتناء به اعتناءً لا مزيد
عليه ، كأن سائقاً يسوقهم إلى ذلك .

و قد تجلت هذه العناية الإلهية بكل وضوح في الحديث
و السيرة ، و في كتب الشماثل ، و فيما أثر عن الوصافين الحاذقين
من أصحابه و أهل بيته ، في صفته التي لم تحفظ كتب الآداب
و التاريخ و الأنساب صفة أكثر منها دقة ، و أعظم منها استيعاباً
للامع البشرية ، و الدقائق الخلقية ، و نظرة عابرة في شمائل الامام
أبي عيسى الترمذى (٢٠٩ / ٥٢٧٩) — على سبيل المثال —
تكفى للايمان بأن هذا الاهتمام البالغ الخارق للعادة بتسجيل دقائق
الخلق و الخلق ، و العادات و العيادات ، و الأقوال و الأفعال
و كل ما يتصل بهذه الشخصية الكريمة اتصالاً يتصوره الذهن

الانسانى ، و فى بسط و تفصيل . لا نظير لهما فى سير الأنبياء ،
و لا فى تاريخ العظماء (١) لم يكن مجرد مصادفة ، و لا وليد
الاتجاه الشخصى ، و العمل الفردى . و كذلك من تصفح كتاب
« الأدب المفرد » للإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى
(١٩٤ ٥٢٥٦) الذى خصه مؤلفه العظيم . بما ورد فى الآداب
الاسلامية ، و مكارم الأخلاق ، و حسن العشرة و الاجتماع ،
و حقوق الصعبة ، و تهذيب النفس ، و أدب الحياة ، معتمداً فى
كل ذلك على ما صح عن الرسول صلى الله عليه و آله و سلم ،
و نقل عنه . علم علم اليقين أنها لم تكن فلتة من فلتات الدهر ،
إنما هو تقدير العزيز العليم ليتحقق العمل فى كل عصر و جيل .
بقوله تعالى : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » وقوله

(١) وقد غنى علماء الأمة الاسلامية بجمع التفاصيل الدقيقة عن الحياة النبوية . والتراتب
الادارية . والحرف والصنائع والمتاجر والمناصب وأنواع العلوم و المشخصات
التي كانت على عهد تأسيس المدينة الاسلامية النبوية عناية لا مثيل لها فى أمم
السابقين وحب القارى أن يقرأ كتاب « التخرىج » لأبى الحسن على الخزازى
التلسانى (٧١٠ - ٥٧٨٩) وتهذبة و تكميله للعلامة الشيخ عبد الحى الكتاتنى
الذى أسماه « التراتيب الادارية » وهو موسوعة فى كل ما تهم معرفته عن عصر
الرسول صلى الله عليه و آله و سلم . و الحياة فيه .

« قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبيكم الله » ، و لئلا يكون
لمتعلل بانقراض الآثار ، و انقطاع الأخبار عذر في ترك الانسواء
و الاقتداء كما هو الشأن في قضية الأنبياء الذين لم يبق لبعضهم إلا
الاسم ، أو أخبار مبتورة لا تكفي للاقتداء و الاقتفاء .

أما الحديث النبوي فيصح أن يسمى « سجل الوقائع اليومية »
و شبه مذكرات - إذا صح هذا التعبير - لمدة ثلاث و عشرين
سنة قضاها النبي صلى الله عليه و آله و سلم - بعد ما أكرمه الله
بالنبوة - على ظهر الأرض ، ترينا كيف كان الرسول صلى الله عليه
و آله و سلم يعيش في هذه الحياة ، كيف كان يقضى نهاره و ليله ،
و نعرف عنه من دقائق الأخلاق والعادات ، و الميول والرغبات ،
و القول والعمل ما لا نعرفه عن كثير من الشخصيات التي عاشت
قريباً ، بل عن الشخصيات المعاصرة أحياناً ، وهو مجموع صور ناطقة
يتعرف بها الانسان بنبيه ، و يسعد بصحبته ، و يتبرك بأنفاسه ،
و كأنه حضر مجلسه ، و استمع لحديثه ، و عاش معه ، و كان
ذلك أبعث على الاقتداء ، و أبعد عن مضار الوثنية ، و عبادة التماثيل
ما جرت عليه الأمم القديمة ، من تصوير أنبيائها و نحت تماثيلهم .
و حسب القارىء أن يقرأ قصة حجة الوداع في كتب الحديث ،
فقد سجل الرواة فيها كل دقيقة من دقائق هذه الرحلة ، و كل

حدث من حوادثها التي لا تسترعى الانتباه ، و ليست لها قيمة تاريخية كبيرة ، و لا يحتفل بأمثالها في رحلات العظماء و الرؤساء و الملوك و الأمراء . و العلماء و النبغاء (١) .

و بفضل هذه الثروة الحديثة استطاع المؤلفون الحاذقون في مختلف العصور و البقاع أن يؤلفوا للمسلمين كتباً تكون دستوراً كاملاً لحياتهم ، حتى إذا أراد المسلم - مهما كانت مهنته و طبقته - ألا يخطو خطوة و لا يبيت في أمر ، و لا يمارس نشاطه إلا في ضوء الهدى النبوي ﷺ أمكنه ذلك ، و الكتب التي ألفت في هذا الموضوع كثيرة ، و في أكثر لغات العالم الاسلامي و هي بين بسيط و وسيط و وجيز ، أحسنها « زاد المعاد (١) » في هدى خير

(١) اقرأ في كتب الصحاح تفاصيل تطيب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع عند الاحرام وإشعاره لهدية واحتجائه وتحديد مكانه من الجسم وموضعه من الطريق وتحديد المنازل بين المدينة ومكة ولم يفد الراوى أن يفيد خروج حية ليلة منى وإفلاتها من القتل وأسماء من كان رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الرحلة بل من أردتهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حياته كلها .

(٢) قد صدرت للكتاب عدة طبعات في مصر والهند . و أمامنا طبع المطبعة الميمنية بمصر ١٣٢٤هـ و قد تم الكتاب في مجلدين ضخمين و في ٩٢٦ صفحة بالقطع الكبير و الحرف الدقيق . و الكتاب مكتبة في السيرة و الحديث و الفقه ، و قد تلقاه علماء كل عصر بالقبول .

العبادة للعلامة شمس الدين أبي عبدالله محمد بن عبد الملك المشهور بابن قيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١ هـ) أنبع تلاميذ شيخ الاسلام ابن تيمية ، و أحد أعلام الأمة .

و يتجلى هذا السر الالهى فى وضوح هذه السيرة و خلودها و كونها بم تناول المؤتسرين و المقتدين ، إذا قارن الانسان بين هذه السيرة و بين سير الانبياء السابقين و حياتهم ، فأكثرها توارت فى ظلمات الجهل و الالهال ، و الحوادث التاريخية الدامية ، و قد أدت رسالتها فى فترة زمنية خاصة ، و مشى فى ضوءها الجيل الذى كلف اتباعهم ، ثم لم تبق حاجة إلى الاحتفاظ بها ، و إلى أن توارثها الأجيال ، و يكفيننا أن نستعرض حياة سيدنا المسيح عليه و على نينا الصلاة و السلام ، فكان آخر الانبياء قبل محمد صلى الله عليه و آله و سلم ، و تنسب إليه أمة عرف شغفها بالعلم و التأليف ، و إفراطها فى حب نبيها ، و إطرأها له إطرأاً بلغ حد التأليه و التقديس ، و لكنها لم تستطع أن تعرض على العالم إلا تنقاً من أخباره و أقواله التى لا تكون هيكلًا من حياة بشرية كاملة ، يقلده الانسان فى حياته الفردية ، أو يسير فى ضوءه مجتمع فاضل ، و قد كان الاعتقاد السائد فى العالم المسيحى قبل أيام أن « العهد الجديد » يتضمن أخبار السنوات الثلاث الأخيرة من

سيرة المسيح وأخباره ، فأنتهى تحقيق الباحثين وأصحاب الاختصاص في الموضوع في الزمن الأخير إلى أنها لا تتجاوز أخبار خمسين يوماً من حياته ، لا أكثر و لا أقل (١) .

أما الأنبياء الآخرون ، و عظماء الملل و الديانات السابقة ، فيصح القول بأن أخبارهم وصور حياتهم مطمورة في ركام الماضي ، وهناك حلقات رئيسية لا يكمل بغيرها التاريخ ، ولا يتسنى بدونها الاقتداء و التقليد ، مفقودة لا يمكن البحث عنها ، والاهتداء إليها في هذا العصر المتأخر (٢) ، و هذا عين ما تقتضيه الحكمة الالهية و منطق الأشياء ، فمثل الانسانية لها أعمار طبيعية ، و حيوية محدودة ، فإذا انتهت لم تكن مصلحة في تناقلها ، أما ما كانت الحاجة إليه قائمة دائماً فبقى على اختلاف الزمان و المكان ، واستمر و انتشر ، و أورك و أثمر .

(١) يقول القس الفاضل الدكتور شارلس اندرسن إسكات في مقال له في دائرة المعارف البريطانية الطبعة الرابعة عشرة ج : ١٣ ص : ١٧١٠ « ينبغي أن يتنازل الانسان عن محاولة وضع كتاب في سيرة المسيح . بكل صراحة . فانه لا وجود للاده و المعلومات التي تساعد على تحقيق هذا الغرض ، و الأيام التي توجد عنها بعض المعلومات لا يزيد عددها على خمسين يوماً .

(٢) اقرأ للتفصيل الكتاب القيم « الرسالة المحمدية » للعلامة السيد سليمان الندوى المجازرة الثانية و الثالثة و الرابعة .

صلة الأئمة الوثيقة الدائمة بمحمد صلى
الله عليه وآله وسلم ، وما يتصل به :

و من قرأ ما ورد من الآداب و الأحكام عن النبي صلى
الله عليه وآله وسلم في سورة الأحزاب ، وفي سورة الحجرات ،
و في سورة التحريم ، وفي سورة المجادلة ، و ما ورد من تكريم
الله تعالى له و نعمه عليه ، في سورة الفتح ، و سورة الضحى ،
و الانشراح ، عرف بدلالة العقل و سلامة الذوق أنها نعوت بي
قد بعث للأجيال كلها ، و للعصور كلها ، و أن شمس رسالته لا
تقبل الكسوف و أن نجمه لا يقبل الأفول ، و لا شك أن بعثة
نبي و لولم يأت بشريعة جديدة ، تتنافى مع الحكمة الإلهية في
هذا الثناء العاطر ، و الوصف البالغ لمحمد ﷺ ، و ربط الأئمة
ربطاً وثيقاً دائماً بهذا النبي الكريم ، و تعاليمه و أسوته ، و أصحابه
و أهل بيته ، و الأرض التي ولد فيها و نشأ ، و دعا فيها الناس
إلى الله و شعائر الله فيها ، و لاشك أن النبي الذي يبعث بعده ،
أو يدعى النبوة ، يحول بين الأئمة و نبيها الأول أراد ذلك أو
لم يرد ، و يضعف صلتها به (صلى الله عليه وآله وسلم) شعر
بذلك أو لم يشعر ، و تلك طبيعة الأشياء ، و خاصة الفطرة
البشرية ، و قد أثرت عقيدة الإمامة عند الشيعة الإمامية في صلة

هذه الطائفة بالنبي ﷺ ، فتحول تيار الحب و العاطفة ، والحماس و الاندفاع إلى الأئمة الاثني عشر - رحمهم الله تعالى - و تجلّى ذلك في مجال التأليف و التصنيف ، و الأدب و الشعر ، و شدّ الرحال إلى المشاهد و الهيايم بها ، وأصبح الولاء للأئمة ، والحب لعلي بن أبي طالب ، و ابنه الحسين - رضى الله تعالى عنهما - هو شعار هذه الطائفة و دثارها ، قد ملا كل فراغ في العقيدة و العاطفة و الحماس ، فما ظن العاقل بنبي يبعث في هذه الأمة أو غيرها ، في عمر من العصور ، ألا ينافس الولاء له ، والانضواء إلى رايته ، حب الأمة لنيها محمد ﷺ ، و كل ما يتصل به و يعزى إليه من تعاليم ، و سنن و هدى ، و أصحاب و لغة و آداب ، و تاريخ و حضارة ، إنه ناموس من نواميس الفطرة التي لا تتغير . و ذلك عكس ما فهم من الضرورة بالدين ، و دل عليه القرآن و نظقت به السنة المتواترة ، فقد جاء في الحديث الصحيح ، « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين (١) » و يقول القرآن : « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم و أزواجه أمهاتهم (٢) » .

(١) رواه الشيخان و النسائي . و في بعض الروايات « من نفسه » .
(الطبراني في معجمه الكبير و الأوسط)

(٢) سورة الأحزاب : ٦ .

وصف القرآن للرسالة المحمدية

و ما يقتضى ذلك :

و من هذه الأساليب القرآنية ، ما جاء فى وصف الرسالة التى حملها الرسول ﷺ إلى الخلق أجمعين ، و الشريعة التى جاء بها ، فهو من أكبر الأساليب و الدواعى لهذا الاعلان الصارخ ، المبرر بل الموجب لانهاء سلسلة النبوءات و الرسائل السماوية على محمد ﷺ ، فصرح القرآن بلسان عربى مبين ، لا غموض فيه ولا لغز ، بأن هذا الدين قد بلغ طوره الأخير من الكمال ، والوفاء بحاجات البشر ، و الصلاحية للبقاء و الاستمرار ، فقال : « اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتى ، و رضيت لكم الاسلام » دينا (١) .

وقد نزلت هذه الآية يوم عرفة فى حجة الوداع سنة عشر للهجرة ، و لم ينزل بعدها - كما تقول أكثر الآثار - حلال و لا حرام ، و لم يعيش رسول الله ﷺ بعد هذا اليوم إلا إحدى و ثمانين ليلة ، و قد فهم كبار الصحابة الذين كانوا من أعرف الناس بأسرار هذا الدين ، و مقاصد التشريع ، و أقرب الناس إلى صاحب الرسالة ﷺ ، و أعظم الناس حبا له ، و حرصا على

(١) المائدة : ٣ .

بقائه ، كان في مقدمتهم أبو بكر و عمر ، دنو ما كانوا يحذرونه من مفارقة رسول الله ﷺ ، و لحوقه بالرفيق الأعلى ، فقد بلغ رسالة الله ، و كمل الدين ، و تمت نعمة الله على عباده ، فمنهم من بكى ، و منهم من تنبأ بدنو هذه الساعة (١) ، و فهم علماء اليهود الأذكياء الذين كانوا من أعرف الناس بالعلم القديم ، و تاريخ الديانات ، أنها كرامة خص بها المسلمون ، و مفرخة لهذا الدين ، لا يشاركه فيها دين آخر ، و رأوا أن اليوم الذي نزلت فيه هذه الآية جدير بأن يخلد ، و يحتفل به على مر العصور ، و يبدى فيه المسلمون سرورهم و امتنانهم (٢) .

و هكذا فهمها رسول الله ﷺ ، و هو الذي نزلت عليه هذه الآية ، فقال في خطبته يوم حجة الوداع ، ينصت إليها أكثر من مائة ألف إنسان و يحفظونها « أيها الناس ! إنه لا نبي بعدى ، و لا أمة بعدكم ، ألا فاعبدوا ربكم ، و صلوا خمسكم ، و صوموا شهركم و أدوا زكاة أموالكم طيبة بها أنفسكم ، و أطيعوا ولاة أمركم ، تدخلوا جنة ربكم (٣) .

(١) راجع كتب الحديث و السيرة و كتب التفسير .

(٢) راجع صحيح البخارى : كتاب التفسير . و الصحيح لمسلم و جامع الترمذى و سنن النسائى و مسند أحمد . و راجع تفسير ابن كثير .

(٣) أخرجه ابن جرير فى « تهذيب الآثار » ، و أخرجه ابن عساكر .

(« كنز البهال » ، ج : ٥ ص ٢٩٥ طبعة حلب)

و كذلك صرح القرآن بأن هذا الدين قد قدر له البقاء ،
و الغلبة و الانتشار ، و أنه سيبلغ ذروة المجد و العز ، و تعلو
كلته ، و يمتد ضوؤه ، و يتبين صدقه ، فقال : « هو الذى
أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ، ليظهره على الدين كله .
و كفى بالله شهيدا (١) ، و قال : « هو الذى أرسل رسوله
بالهدى و دين الحق ، ليظهره على الدين كله ، لو كره
المشركون » (٢) ، و قال : يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ، والله
متم نوره و لو كره الكافرون » (٣) ، و كل هذه الكفالات .
و الضمانات ، و النبوءات ، و الاعلانات ، تدل بدلالة النص
و إشارته على أن هذا الدين هو رسالة الله الأخيرة ، و حاجة
البشرية كلها ، على اختلاف العصور و الأمصار ، و أن الله هو
بالغ أمره فيه ، كره الناس ذلك أو أحبوه ، و سلمه الحساد
و المعارضون أو حاربوه ، و كل ما كان ذلك شأنه ، و وردت
فيه هذه الأخبار الصادقة ، و التحديات البالغة فى كتاب لا
يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه ، لا يقبل العقل السليم
أن يقبل النسخ و التغيير ، أو يحتاج إلى نبي جديد ، و رسول
مبعوث .

- | | |
|------------------------|----------------------------|
| (١) سورة الفتح : ٨ . | (٢) سورة الصف : ٩ و سورة |
| التوبة : ٣٣ . | (٣) سورة الصف : ٨ . |

عموم الرسالة المحمدية للأمم و الشعوب
والطبقات ، واستغناؤها عن تطوير وتعديل :

و كانت الديانات السابقة ، و الرسائل القديمة ، بعضها
محدودة في شعب ، أو مختصة بأقليم ، أو خاصة بفترة زمنية ،
قصيرة أو طويلة (١) ، و لم تكن الديانة اليهودية في زمن من
الأزمان دعوة عامة للخلق ، و لم يكلف اليهود - في ضوء من
نصوص كتبهم المقدسة - تبليغ الرسالة إلى الأمم جميعاً ، بل وردت
نصوص تمنع عن ذلك ، و تحصر نشاطهم الدعوى في نطاقهم
الغنى المحدود (٢) ، و كان من الطبعي والمحقول جداً أن يميزوا
دائماً بين بني إسرائيل و بين الشعوب و القبائل الأخرى ، و أن
يضعوا للخير و الشر ، و البر و الأثم ، مقاييس مختلفة ، تختلف
 باختلاف السلالات و الشعوب .

تقول السيدة الفاضلة المهتدية مريم جميلة Margaret Mareus

اليهودية سابقاً ، في كتابها « الاسلام إزاء أهل الكتاب ماضياً

-
- (١) و قد وردت في العهد القديم ، نصوص و تصريحات بأن رسائل أنبياء بني
إسرائيل كانت مؤقتة و مختصة بزمان خاص ، اقرأ على سبيل المثال (١٨ : ١٥)
(١٨ : ١٨) و (٣٣ : ١-٢) من سفر الشية في التوراة ونبوة أشعيا الأصحاح ٤٠
و سائر أسفار بني إسرائيل والزبور و الأناجيل مملوءة بمثل هذه النصوص .
(٢) راجع كتاب الخروج باب ٣ و كتاب الاستثناء باب ٣٢-٤٠ .

و حاضراً ، باللغة الانجليزية : « ليس أن اليهود لا يبلغون دينهم إلى غيرهم عملياً ، بل إنهم لا يرحبون بالدخول في دياتهم ، و لا أعرف إلا مثالين في تاريخهم الطويل حين دخل غير اليهود في اليهودية في عدد كبير ، كان ذلك مرة في الصين ، في زمن سبق البعثة المحمدية ببضعة قرون ، و مرة ثانية لما اعتنق عدد من غير اليهود الديانة اليهودية في مملكة خزار التاتارية الأصل ، التي عاشت مدة قصيرة في روسيا (١) » .

و يدل على ذلك دلالة واضحة الأسلوب الذي ألف فيه « العهد القديم » الموجود في أيدينا اليوم ، و الروح التي تسيطر على كل سطر منه ، فيشعر القارئ لهذا الكتاب بأنه يطالع ملحمة اليهود ، أو كتاب مناقب اليهود ، أو كتاب الأنساب الخاص بهم ، و لا يجد فيه من تعليقات خلقية و روحية ، و من حث على مكارم الأخلاق العامة و المساواة بين البشر ، و الاعتراف بكرامة الانسان ، و حث على الزهد ، و تهذيب النفس ، و إيثار الآخرة على الدنيا ، و اللهج بذكر الجنة و نعيمها ، و التخويف من النار و عذابها ، ما يهذب النفس و يرقق القلب ، ويشعره بكرامته و مسؤوليته إذا كان ينتمى إلى سلالة غير إسرائيلية ،

• Islam vreeses ahalkitab Past and Present (22-23) (١)

فالكتاب بقصصه و أخباره و أحكامه ، يدور حول اليهود الذين
يعتبرهم دينهم و كتبهم « شعب الله المختار » .

و كذلك كانت دعوة سيدنا المسيح خاصة لبني إسرائيل ،
وقد صرح بأنه لم يبعث إلا ليرعى خراف بني إسرائيل الضالة (١)
و اقتصرت رسالته على قراهم و أرضهم ، والمنسويين إليهم ، ولما
لفت نظره إلى من لم يتصل ببني إسرائيل بنسب أوبقراة فاستعطف
عليه ، قال : إني لست ذلك الرجل الذي يعطى خبز الأولاد
للكلاب (٢) .

أما أمر الديانات الشرقية الآسيوية ، كالبرهمية الهندية و ما
شاكلها فأمرها أدهى و أمر ، وكانت تعتبر في غالب الأحيان غير
الآرين و غير البراهمة أنجاساً مناكيد ، و تساوى بينهم و بين
الدواب ، و تعاملهم أحياناً معاملة الكلاب (٣) .

فكانت حكمة الله و رحمته بعباده تقتضيان بعثة نبي جديد ،
يحمل تعاليم جديدة ، و تعديلات في الشرائع والأحكام ، اقتضاها

(١) راجع إنجيل متى باب ١٥ آية ٢٤ و باب ١٠ آية ٦ و ٧ .

(٢) متى باب ١٥ آية ٢٦ .

(٣) اقرأ للتفصيل كتاب ابن توفى « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » ، الباب
الأول : الفصل الأول عنوان نظام « طبقات الجائر ص ٥٨ . و امتيازات
طبقة البراهمة ص : ٥٩ و المنبوذون الأشقياء ص : ٦٠ .

تغير الزمان و المكان ، و الأحوال والظروف ، و اقتضاها بعض
 الحوادث ، فتناول التسهيل أحياناً و تحليل ما حرمه المتدينون
 الغلاة ، أو تحريم ما أحله المتوسعون المتعمون ، أو السلاطين
 المترفون ، فيقول سيدنا عيسى بن مريم « و مصداقاً لما بين يدي
 من التوراة ، و لأحل لكم بعض الذى حرم عليكم و جئتكم بآية
 من ربكم فاتقوا الله و أطيعون » (١) .

و قد أعلن القرآن انتهاء هذين الموجبين لبوة جديدة ، أما
 ما يتصل بعموم الرسالة المحمدية للأمم و الشعوب ، و طبقات
 الناس جميعاً ، فقال : قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ،
 الذى له ملك السماوات والأرض ، لا إله إلا هو ، يحيى ويميت (٢) «
 و قال : « و ما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً و نذيراً ، و لكن
 أكثر الناس لا يعلمون (٣) » و قال : « و ما أرسلناك إلا رحمة
 للعالمين (٤) » ، و قال : « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده
 ليكون للعالمين نذيراً (٥) » ، و قال : « إن هو إلا ذكر
 للعالمين (٦) » .

- | | |
|------------------------|---------------------------|
| (١) النساء : ٥٠ . | (٢) الأعراف : ١٥٨ . |
| (٣) سبا : ٢٨ . | (٤) سورة الأنبياء : ١٠٧ . |
| (٥) سورة الفرقان : ١ . | (٦) سورة ص : ٨٧ . |

فالدِّين الإسلامي حق مشاع ، و ثروة مشتركة لجميع الأمم
و الشعوب ، و العناصر و الأجناس ، و الأسر و البيوتات ،
و البلاد والأوطان ، ليس فيه احتكار مثل احتكار بني لاوى من
اليهود ، أو البراهمة من الهنود ، لا يتميز فيه شعب عن شعب ،
و لا نسل عن نسل ، و ليس الاعتماد فيه على العرق و الدم ،
بل الاعتماد فيه على الحرص و الشوق ، و حسن التلقى ، و زيادة
التقدير ، و التفوق في الجهاد و الاجتهاد ، و الدين و التقوى ،
و قد قال الله تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى
و جعلناكم شعوباً و قبائل لتعارفوا » إن أكرمكم عند الله أتقاكم .
إن الله عليم خبير . (١) ، و أعلن النبي ﷺ يوم فتح مكة :
« الناس بنو آدم و آدم خلق من تراب ، لا فضل لعربي على
أعجمي إلا بالتقوى (٢) » . و روى الامام أحمد بن حنبل (٣)
بسنده عن النبي ﷺ أنه قال : « لو كان العلم بالثريا لتناوله أناس
من أبناء فارس (٤) » .

(٢) الحبريات : ١٣ . (٢) رواه الترمذى و غيره .

(٣) مستد الامام أحمد بن حنبل ج ٢ ص ٩٦ .

(٤) قد بسط شيخ الاسلام الحافظ ابن تيمية في كتابه النفيس ، الجواب الصحيح
لمن بدل دين المسيح . دلائل عموم البعثة المحمدية من القرآن والحديث والآثار
والاخبار (الجزء الاول ص - ١٢٦ ١٤٠ و ص ١٦١ - ١٦٦) فراجع

و أما ما يتصل بالحاجة إلى التغير و التسهيل ، فصرح بأن
هذه الشريعة قد جاءت سهلة سمحة ، توافق الفطرة المستقيمة
و العقول السليمة ، في كل زمان ، فقال : « يريد الله بكم اليسر ،
و لا يريد بكم العسر (١) » ، و قال : « ما جعل عليكم في الدين
من حرج (٢) » .

إن التشريعات المجحفة ، و القيود المرهقة — من تحريم ما
أحل الله ، و تضيق ما وسع الله فيه — التي أخذت بها الأمم
السابقة نفسها ، و التزمت ما لم يلزمها الله به ، كانت كدرت عليها
صفو الحياة ، و عقدت الدين ، و جعلته عبئاً ثقيلاً لا يطاق حمله ،
و جاءت النبوة الأخيرة ، و الشريعة السمحة الخفيفة ، فأزالت
هذه القيود و الأغلال التي كانت من اختراع العباد الغلاة ،
و المشرعين القساء ، و أعادت الأمور إلى نصابها ، يقول القرآن
في وصف هذا النبي الذي ختم الله به الأنبياء ، و أرسله إلى الناس
كافة بشيراً و نذيراً .

« يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر » و يحل لهم الطيبات
و يحرم عليهم الخبائث و يضع عنهم إصرهم و الأغلال التي كانت
عليهم (٣) .

(١) البقرة : ١٨٥ . (٢) الحج ٧٨ . (٣) الأعراف : ١٥٧ .

و ذكر أن كبار العقلاء و المشرعين لو حاولوا مراعاة الحاجة البشرية ، والأحوال المختلفة ، لم يبلغوا حيث بلغ علم الله المحكم ، فقال في آيات المواريث : « آبؤكم و أبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً ، فريضة من الله ، إن الله كان عليماً حكيماً (١) » ، و يقول في سياق آيات الزواج و ما للزوجين من حقوق و فرائض : « يريد الله ليبين لكم ، ويهديكم سنن الذين من قبلكم ، ويتوب عليكم ، والله عليم حكيم » . والله يريد أن يتوب عليكم ، ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً . يريد الله أن يخفف عنكم ، و خلق الإنسان ضعيفاً (٢) .

الصحف السماوية السابقة و القرآن في ميزان العلم و التاريخ :

وما زالت الصحف السماوية السابقة للقرآن عرضة للتحريف و التبديل ، و الضياع و التلف ، فان الله سبحانه و تعالى لم يتكفل بحفظها و بقائها ، بل أسند ذلك إلى علمائها و حملتها ، و لم تحتج إليها البشرية ، أو الأمم التي خوطبت بها ، إلا لفترة من الزمان ، فقال : إنا أنزلنا التوراه فيها هدى و نور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا ، و الربانيون و الأحرار بما استحفظوا من

كتاب الله ، وكانوا عليه شهداء (١) .

وقد ثبت ذلك تاريخياً و تواتر و أقرت به الأمم
و الطوائف ، التي نزلت فيها هذه الصحف .

وقد استهدفت صحف العهد القديم للتلف والاحراق والابادة ،
بصورة واضحة ، وباتفاق المؤرخين اليهود ثلاث مرات في التاريخ .
المرّة الأولى حين زحف بختنصر (Nabuchodonosor)

(٦٠٥ - ٥٦٢ ق . م .) ملك بابل على اليهود سنة ٥٨٦ ق . م .
وأشعل النيران في بيت المقدس الذي حفظ فيه النبي سليمان عليه السلام
ألواح التوراة ، وبقية مما ترك آل موسى و آل هارون ، وأخذ
من سلم من القتل من اليهود أسيراً إلى بابل حيث مكثوا فيه خمسين
سنة ، و قد أعاد « عزرا » الصحف الخمس الأولى التي تسمى
« تورة » بحفظه ، و قيد الحوادث في أسلوب تاريخي ، ثم ضم
إليها نحميا السلسلة الثانية من السكتب ، مضيفاً إليها زبور داود .

والمرّة الثانية حين كراطيوخوس (Antiochus) الرابع الملقب

أيقانس ، ملك أنطاكية اليوناني على بيت المقدس (سنة ١٦٨
ق . م .) و أحرق الصحف المقدسة ، و منع من تلاوة التوراة ،
و ممارسة الشعائر اليهودية رسمياً ، و نشط يهودا المكابي في جمع

(١) المائدة : ٤٤ .

الصحف المقدسة و ترتيبها ، و ضم إليها السلسلة الثالثة من صحف
« العهد القديم » .

والمرة الثالثة حين هجم تيطس (Titus) الامبراطور الرومانى
(٤٠ - ٨١) على بيت المقدس فى ٧ من سبتمبر سنة ٧٠ م ،
و دمره بما فيه من هيكل سليمان وحوله إلى أنقاض و خرائب ،
و استولى على الصحف المقدسة ، و نقلها إلى بلاطه فى روما
تذكراً للفتح ، و أجلى اليهود من القدس ، و استعمر غيرهم حول
المدينة (١) .

و مقاييس حفظ الصحف المنسوبة إلى الأنبياء المستفادة من
الوحي ، و بقائها على أصالتها ، و نصوصها ، ووجهة نظر أصحابها
إليها ، تختلف عن مقاييس المسلمين ، وعقيدتهم عن الكتاب المنزل
من الله تعالى على محمد ﷺ ، اختلافاً كبيراً ، فلا يمنع دخول
بعض زيادات وتعديلات فى هذه الكتب عن إضافتها إلى الوحي ،
و تسميتها بالصحف السماوية عند اليهود ، و قد لا يخرجون من
إضافة تأليفها إلى الأنبياء ، فقد جاء فى مختصر دائرة المعارف
اليهودية ما يلى :

(١) راجع كتب تاريخ الصحف المقدسة . و راجع دائرة المعارف اليهودية . وقد
وردت إشارات إلى هذه الحوادث فى صحيفة نجحيا مكابين و غيرها .

« إن الأخبار اليهودية وإن كانت تلح على أن صحف العهد القديم من تأليف « الأبطال » ، أو الشخصيات التي تتحدث عنها هذه الصحف ، و ذلك لا يبعد عن الصواب ، و لكنهم لا يخرجون في الاقرار بأن بعض هذه الصحف تناولها التعديل و الزيادة في العهود المتأخرة (١) » .

و جاء في دائرة المعارف اليهودية ما معناه :

« إن الكتب الخمسة الأولى من الكتاب المقدس (العهد القديم) كما تقول الأخبار اليهودية القديمة ، من تأليف النبي موسى ، باستثناء ثمانى آيات أخيرة جاء فيها الحديث عن موت موسى ، و ما زال الريون يعنون بتناقضات واختلافات وردت في هذه الصحف ، و ما زالوا يصلحونها بحكمهم و لباقتهم (٢) » .

وتزيد هذه الموسوعة الكبيرة : « إن اسفينوزا (Spinoza) يقول : « إن الكتب الخمسة الأولى من العهد القديم ليست من تأليف موسى ، بل هي من تأليف عزراء (٣) ، و أن آخر ما وصل

(١) Vellentin's one volume Jewish Encyclopaedia

London p. 93 .

(٢) Jewish Encyclopaedia V. 9 P. 589 .

(٣) ص ٥٩٠ ملقط من تفسير مولانا عبد الماجد الدريابادى بالانجليزية .

إليه البحث العلى ، هو أن هذه الكتب (الخمس الأولى) ترجع إلى ثمانية و عشرين (٢٨) مصدرآ استقيت و استفيدت منها هذه الكتب (١) .

أما أمر الأناجيل الأربعة التى تسمى « العهد الجديد » فأمرها أغرب من صحف العهد القديم ، فإنه يكتنف تدوينها ومؤلفيها الشئ الكثير من الغموض و الالتباس و الاضطراب . وبينها وبين السيد المسيح (عليه الصلاة والسلام) هوة عميقة واسعة ، ليس فى إمكان باحث أو مؤرخ ردمها أو إقامة جسر عليها (٢) وقد تعرضت للتحرير والتطوير ، والتعديل و التحسين ، فى مجامع دينية ، و فترات زمانية عديدة ، وبعد ذلك كله ، فإنها بكتب السيرة والأخبار و الحكايات والآثار أشبه منها بالكتب المنزلة من الله ، المبنية على الوحي و الإلهام ، يعرف ذلك بداهة من أجال النظر فيها و تصفحها ، و من قرأ الكتب التى ألفت فى تاريخها ،

(١) نفس المصدر ص ٥٩٠ .

(٢) راجع للتفصيل و تعيين عهود تأليفها و ترتيبها الزمنى و فى شأن مصادرهما و

المنابع التى استقيت معلوماتها وموادها منها ، كتاب تاريخ الديانات (History of Religions) مؤلفها الفاضل E. O. Jones أستاذ تاريخ

الديانات فى جامعة لندن . طبع لندن سنة ١٩٥٦ ص ١٧٨ - ١٨٠ .

والأدوار التي مرت بها (١) ، وهي لا تناهض كتب الحديث ، و دواوين السنة عند المسلمين ، من الطبقة الثانية والثالثة - فضلا عن الصحاح - فإن هذه الكتب امتازت باتصال السند من أصحابها إلى رسول الله ﷺ ، و الحديث الصحيح عند علماء المسلمين ما روى بنقل عدل ، تام الضبط ، متصل السند ، غير مغال و لا شاذ (٢) ، أما الأناجيل فقد تجردت عن جميع أنواع السند ، فليس هنالك سند متصل من عصرنا إلى مدونها ، ولا من مدونها إلى سيدنا عيسى بن مريم .

و هذا كله زيادة على أن هذه الصحف التي بأيدينا اليوم ليست باللغة التي نزلت فيها ، وكان يتكلم بها المسيح (عليه الصلاة و السلام) و قومه ، بل نقلت من لغة إلى لغة ، وتناولاتها أيدي المترجمين الناقلين حتى وصلت إلينا ، وهي في الحقيقة بكتب السير و التاريخ ، و مجاميع الأقوال و المواعظ - إذا لم نقل قصص المولود الكثيرة المنتشرة بين المسلمين - أشبه ، منها بكتب الحديث

-
- (١) اقرأ الكتب التي ألفت في تاريخ العهد الجديد في اللغات الأوروبية بأقلام العلماء المسيحيين و اقرأ خلاصتها في كتاب « أضواء على المسيحية » لمؤلفه الفاضل الأستاذ متولى يوسف شلبي ، نشر البعثة الكويتية .
- (٢) راجع للتفصيل ومعرفة أقسام الحديث وشروطها كتب أصول الحديث ومصطلح أهل الأثر .

عند المسلمين ، لذلك كان من الخطأ المقارنة بين هذه الصحف
و القرآن ، فان المقارنة إنما تكون بين ما كان من جنس واحد ،
و على درجة واحدة .

وقد أحسن العالم المستشرق المهتدى المسيو « ايتين دينيه » الفرنسى
فى وصف هذه الأناجيل ، و تحديد مكاتبتها العلية و التاريخية ،
و كان دقيقاً فى هذا الوصف ، يقول :

« أما أن الله سبحانه قد أوحى الانجيل إلى عيسى بلغته ،
و لغة قومه ، فالذى لا شك فيه أن هذا الانجيل قد ضاع
و اندثر ، ولم يبق له أثر ، أو أنه أيد .

ولهذا قد جعلوا مكانه « تأليفات أربع » مشكوكا فى صحتها ،
و فى نسبتها التاريخية ، كما أنها مكتوبة باللغة اليونانية ، و هى لغة
لا تتفق طبيعتها مع لغة عيسى الأصلية التى هى لغة سامية ، لذلك
كانت صلة السماء بهذه الأناجيل اليونانية أضعف بكثير ، من صلتها
بتوراة اليهود ، و قرآن العرب » (١) .

ثم هنالك شواهد داخلية من أغلاط تاريخية صريحة ، و
تناقضات واضحة ، و أمور مستحيلة ينكرها العقل ، و نسبة أشياء
إلى الله لا تليق بجلاله و كماله ، و لا تتفق مع صفاته التى اتفقت

(١) نقلا من كتاب « أضواء على المسيحية » ، ص : ٥٢ - ٥٣ .

عليها الأديان السماوية والعقول السليمة ، و مطالعن في أنبياء الله
المكرمين ، و اتهامهم بأفعال وأخلاق يترفع عنها أوساط الناس .
إلى غير ذلك من الشواهد الجليسة الكثيرة العدد التي تدل على
الدس و الالحاق ، والتغير في كتب العمدين القديم والجديد التي
تسمى مجموعاً ببائبل (Bible) أو الكتاب المقدس (١) .

أما صحف الديانات الأخرى التي تعتبر أعرق في القدم، وفيها
صحف الهند العتيقة التي يدين بها الشعوب الهندية الآرية و تعتقد
أنها نزلت من السماء ، و أنها من كلام فاطر الكون ووجهه ، فقد
أحاطت بها حالات من الظلام والغموض ، و الجمل والأساطير ،
و جهلت العهود التي نزلت فيها و الأشخاص الذين خوطبوا بها ،
و دخل في صلبها الشئ الكثير من الزيادات ، و التفسيرات ،
و اندرست اللغات و اللهجات التي نزلت بها ، حتى أصبح الجزم
بتحديد عهدها ، و الوصول إلى حقيقتها ، و مقاصدها ، والتمييز
بين أصولها و شروحيها ، شبه المستحيل ، يقول أحد كبار العلماء

(١) اقرأ كتاب « إظهار الحق » الفريد في موضوعه ، للعلامة رحمة الله الكبير أنوى

الهندي المتوفى سنة (١٣٠٨ هـ) المدنون في مكة المكرمة .

و قد عد المؤلف ما وقع في الكتاب المقدس من اختلاف لفظي فبلغ ١٢٢

اختلافاً ، وماضى عليه من أغلاط لا قبل التأويل فبلغ عددها إلى ١٠٨ . راجع

الكتاب .

المختصين في تاريخ هذه الصحف ، وهو الموسيو A- Barth عضو
المجمع الآسيوى الملكى فى باريس (The Societe-Asiatique of Paris)
و هو يتكلم عن « ويدا » فى كتابه « ديانات الهند » :

«إن هذه الصحف لا تدعى أنها من الله ، و لا تحاول أن
تخفى — بطريقة صناعية — عمرها ، لقد دخل الشئ الكثير من
الزيادات و التحريفات فى صلب هذه الكتب و صميمها ، و قد
كان الدافع إلى ذلك الاخلاص و حسن النية (١) و لكن رغم
ذلك من الصعب تحديد عمرها ، أو تقديره على الأقل ، إن أجزاء
« برهمنا » (Brahmana) التى كتبت فى آخر ما كتب ، لا تتقدم بداية
عهدنا إلا خمس مائة سنة ، أما بقية ما اشتملت عليه «ويدا» فهى
موغلة فى قدم يصعب معه الجزم بشئ ، أما ما كان أعرق منه فى
القدم فمن المستحيل إبداء الرأى فيه (٢) .

أما «أوستا» صحيفة المجوس الفرس ، فلا يختلف شأنها عن
شأن « ويدا » ، ولعل نصيبها من البحث العلمى ، والقيمة التاريخية

(١) لعله يبنى أن الذين فعلوا ذلك كان غرضهم أن يقبل عليها الناس قراءة ومطالعة
و أن يطبقوا بينها و بين روح العصر وثقافته ، وهذا نفس ما وقع مع العهد
القديم و الجديد . و قد جنى ذلك على هذه الصحف جناية كبيرة ، فقد ثبت
بطلان النظريات والشائعات عليها ، ففقدت الكتب المقدسة قيمتها ومكانتها.

(٢) The Religiones of India . Delhi 1969 p . 4-5 .

أقل ، و الشبهات حولها أقوى ، يقول (Robert. H. Pfeiffer)
 رئيس فرع اللغات السامية في جامعة هارورد ، في دائرة معارف
 الديانات ، و هو يتحدث عن « أوستا » :
 « إن أصل « أوستا » كما تقول الحكايات كان جامعاً للعلوم ،
 و قد أباد معظمه الامكندر ، و قد ألف كتاب في القرن الثالث
 المسيحى ، ما تبقى من الكتاب كان يحتوى على ٢١ جزءاً تسمى
 (Nask) و لم يبق من هذه الأجزاء كلها إلا جزء واحد يسمى
 (Vendidad) و قد نقل جزء يتصل بالعبادات من هذا الكتاب
 إلى الهند بعد القرن التاسع المسيحى ، و هو يتألف من خمسة
 أجزاء تسمى (Yasna) بما فيها (Gatha) و (Vespered) و (Vendid)
 و (Khorda Avasta) (١) .

أما القرآن الكريم الذى كان آخر الكتب المنزلة من الله ،
 و مصداقاً لها ، و مهيمناً عليها ، و عليه الاعتماد فى هداية البشر ،
 و ربط الخلق بالخالق ، و الدعوة إلى الله بعد البعثة المحمدية إلى
 أن يرث الله الأرض و من عليها ، فشأنه يختلف عن شأن جميع
 الكتب السماوية كل الاختلاف ، فقد تكفل الله بحفظه و سلامته
 من كل تحريف و تبديل ، و زيادة و نقص ، فقال : « و إنه

(١) دائرة معارف الديانات طبع نيويورك ١٩٤٥ م ص ٤٩ .

لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل
من حكيم حميد (١) . و كذلك تكفل الله بسلامته من مسخ
و عبث ، و محو من الذاكرة ، و ارتفاع عن صدور الناس .
أو تعرض لنكبة تقضى عليه أو تيده ، كما وقع أكثر من مرة
للتوراة ، فقال : « إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون (٢) »
و هى الكفالة بحفظه و بقاءه ، و انتشاره و ازدهاره و بقاءه ،
متلوآ و مدروسآ و مفهوماً ، و غير مهجور قد انقطع العمل به
بتأتا ، و تتوسى ، فكل هذا — من معان و لوازم وآفاق — مما
تطوى عليه كلمة « الحفظ » العرية البليغة .

و لما قضى الله ببقاء هذا الكتاب على أصالته و نقائه ،
و بنصه و فسه ، كما نزل على محمد بن عبد الله ﷺ ، سخر الله
لهذا الغرض النفوس البشرية ، و الدواعى الطبيعية ، و الأسباب
الخارجية ، و الحوادث الكونية ، فكان لا يتحرك به لسان النبوة ،
و لا يدخل فى الأذن إلا و يتهالك المسلمون على تلقفه و حفظه ،
و تلاوته و تدارسه ، بدافع من الحب الذى جبلت عليه القلوب ،
و لاعجازه و بلاغته ، و رنينه ، و حلاوة جرسه ، ثم بما وردت
فى فضل حفظه و حملته من الآيات الكثيرة ، و الأحاديث

(١) حم السجدة ٤١ - ٤٢ . (٢) الحجر : ٩ .

المستفيضة المتواترة (١) ، و قد قرنت حياة المسلمين به صلاة و تعبداً ، و أحكاماً و مدنية و اجتماعاً ، و علماً و أدباً ، فبلغ تعلق قلوب المسلمين به إلى حد الغرام و الهيام ، و كثير عدد حفاظه فيهم من أقدم العصور ، فقد استشهد في وقعة بئر معونة التي كانت مئة ثلاث للهجرة سبعون رجلاً من المسلمين يقال لهم القراء (٢) ، و هكذا لم يزل عدد الحفاظ يتزايد بتزايد عدد المسلمين ، و كثرة الدواعي إلى الحفظ و تنوعها ، حتى وصل إلى حد يقضى منه العجب ، في مدينة صغيرة ، وفي كل مجتمع إسلامي ، و يتناقله المسلمون صدراً من صدر ، و لساناً من لسان ، و يبلغ منهم الاتقان لحفظه ، و الدقة في صحته ، و البراعة في استحضاره ، و التنافس فيه ، و الشغف بقراءته و التعمد به إلى حد لا يصدق من غير المسلمين إلا من عاشر المسلمين و عاش معهم ، و عرف عوائدهم ، وكان عدد هؤلاء الحفاظ يفوق الإحصاء في كل زمان ، فضلاً عن هذا الزمان الذي لا يقل عددهم عن ملايين .

(١) راجع على سبيل المثال - رسالة فضائل القرآن ، للعلامة المحدث الشيخ محمد

ذكربا ابن يحيى الكاندهلوى . تعريب الأستاذ واضح رشيد الندوى .

(٢) راجع البداية والنهاية ج : ٤ ، ص ٧١ . وحديث بئر معونة حديث مشهور

رواه البخارى و مسلم و أصحاب السنن .

و قد ألهم الله خلفاء رسول الله ﷺ بالحق ، والقائمين
بأمر المسلمين حين استحر القتل يوم اليمامة بالقراء ، فخشوا
أن يكون في استشهاد القراء في المواطن الأخرى ضرر على بقاء
القرآن ، إن كان جل الاعتماد على الحفظ ، و قد بدا ذلك لعمر
الذي كان يسبق زملاءه الصحابة في التعرف لحاجات المسلمين
ومصالحهم ، و كان يتوارد خاطره بمقاصد التشريع ، فاقترح على
أبي بكر وهو خليفة رسول الله (ﷺ) يومئذ و خليفة المسلمين ،
جمع القرآن و كتابته ، و كان مفرقاً في الرقاع و العصب ،
و اللخاف (١) ، و صدور الرجال ، و شرح الله صدر أبي بكر
لهذا الأمر ، و كلف زيد بن ثابت لاختصاصه بهذا الشأن ، فقام
بذلك خير قيام ، معتمداً على المحفوظ في صدور القراء ، والمكتوب
لدى الكتبة ، و بقيت تلك الصحف محفوظة يرجع إليها ، ويعتمد
عليها ، حتى آل الأمر إلى عثمان بن عفان الخليفة الثالث ، و قد
اتسعت الفتوحات الاسلامية ، وتفرق القراء في الأمصار ، وأخذ
أهل كل مصر عن وفد إليهم قراءته ، و خشى على المسلمين
الاختلاف والاضطراب في وجوه القراءة ، واللحن بدخول العجم

(١) العصب جمع عصب أى جريدة من النخل و هى السعة ما لا يثبت عليه
المحوص . و اللخاف جمع لحفة : حجارة يضرب دقاق .

في الاسلام في عدد كبير ، و خاف عقلاء الصحابة أن ينشأ عنه التحريف والتبديل ، فأمر عثمان رضى الله تعالى عنه بنسخ الصحف الأولى ، التي نسخت في عهد أبي بكر في المصاحف ، وكتبت على القراءات المتواترة ، وبعث عثمان إلى كل أئمة بنسخة من المصاحف واحتبس بالمدينة واحداً ، هو مصحفه الذي يسمى « الامام » (١) و هذه المصاحف هي التي تمسك بها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها ، وعليه درجت أجيالهم ، وبها ذلت ألسنتهم ، وحفظوا القرآن ، وعبدوا الله به ، وعليه الاعتماد في العالم الاسلامي كله من أقصاه إلى أقصاه ، و من السنة الخامسة و العشرين التي كان فيها هذا الجمع الأخير إلى يوم الناس هذا ، لا يشذ عنه شاذ ، و لا يوجد عنه اختلاف في مجتمع إسلامي أو في مكتبة أثرية (٢) ، وأجمع عليه المسلمون وتواتر منذ أن تم هذا العمل ، و أطبق عليه

(١) اقرأ تاريخ جمع القرآن وكتابه في الكتب التي ألف في هذا الموضوع قديماً وحديثاً . و اقرأ خلاصتها في كتاب « مباحث في علوم القرآن » لصديقنا الفاضل الأستاذ مناع القطان . و اقرأ الكتاب الممتع المفيد « النبأ العظيم » مؤلفه الفاضل العلامة الدكتور محمد عبد الله دراز .

(٢) يقول أ. م. منجانا (A. Mangana) أستاذ جامعة منسشر سابقاً : إن هنالك نسخاً كثيرة مخطوطة للقرآن كلها في مكتبات أوروبا العامة لعل أقدمها ما ترجع كتابتها إلى القرن الثاني الهجري وهذه المخطوطات لا يوجد فيها اختلاف عدا هنات من الكتابة العربية التي هي من عيوب الخط العربي القديم . و قرئاً من ذلك قال نواديك (Noeldeke) (دائرة معارف الأديان والأخلاق) ج : ١٠ ص ٥٤٨/٤٩ .

المسلمون إلى هذا العصر الذى أصبح القرآن فوق متناول المحرفين
والمغرضين والعابثين ، لكثرة الحفاظ و العلماء المتقنين له ،
و كثرة التداول بين الناس ، و كثرة الطبعات ، و قد اعترفت
الموسوعة البريطانية ، بأن القرآن هو أوسع الكتب تلاوة على
وجه الأرض (١) .

وقد اتفقت كلمة المستشرقين ، و علماء الغرب المحققين الذين
لا يؤمنون بطبيعة الحمال بكون القرآن منزلاً من الله ، و وحياً
أوحى به إلى محمد ﷺ على صحة نقله و انتهائه بنصه إلى محمد ﷺ ،
و هنا بضع شهادات لكبار العلماء المسيحيين .

يقول سير وليم ميور (Ser William Muir) الذى عرف
تحملاه على الاسلام ، و صاحب رسالته ، حتى اضطر ذلك زعيم حركة
التعليم العصرى فى المسلمين فى الهند سيد أحمد خان ، مؤسس جامعة
عليكراه الاسلامية إلى وضع كتابه الشهير « خطبات أحمدية » فى
الرد على كتابه « حياة محمد » (Life of Mohammed) ، يقول ميور
فى نفس هذا الكتاب :

« لم يمض على وفاة محمد ربع قرن حتى نشأت منازعات
عنيفة ، و قامت طوائف ، و قد ذهب عثمان ضخمة هذه الفتن ،
و لا تزال هذه الخلافات قائمة ، و لكن القرآن ظل كتاب هذه

(١) دائرة المعارف البريطانية : مادة « محمد » .

الطوائف الوحيد ، إن اعتماد هذه الطوائف جميعاً على هذا الكتاب تلاوة ، برهان ساطع على أن الكتاب الذى بين أيدينا اليوم ، هي الحقيقة التى أمر الخليفة المظلوم بجمعها وكتابتها ، فلهذا هو الكتاب الوحيد فى الدنيا الذى بقى نصه محفوظاً من التحريف طيلة ألف و مائى سنة (١) .

ويقول وهيرى (Wherry) فى تفسيره للقرآن ج : ١ ص : ٣٤٩ : « إن القرآن أبعد الصحف القديمة بالاطلاق عن الخطأ و الالحاق ، و أكثرها صحة و أصالة » .

ويقول پامر (Palmer) مترجم القرآن المعروف إلى اللغة الانجليزية فى كتابه (The Quran introduction) : « لم يزل نص القرآن الذى رتبته عثمان هى الصحيفة الملقاة بالقبول ، المعتمد عليها عند المسلمين (٢) » .
و يقول لين پول (Lane Poole) :

« إن أكبر مايمتاز به القرآن أنه لم يتطرق شك إلى أصالته ، إن كل حرف قرأه اليوم نستطيع أن نثق بأنه لم يقبل أى تغيير منذ ثلاثة عشر قرناً (٣) » .

إذن فلم تعد حاجة إلى نبوة جديدة ، تزيل الالتباس ، وتميز

(١) Life of Mohammed الطبعة ١٩١٢ . ص: ٢٢-٢٣ . (٢) ص : ٧٠ .

(٣) Selections from the Koran P. C. (٣)

هذه الاعترافات ملتبسة من تفسير مولانا عبد الماجد الريباضى ، بالانجليزية .

بين الحق و الباطل ، و تبين كذب المفترى ، ولا إلى صحيفة تحمل
حمل هذه الصحيفة المنسوخة التي عبث بها الأيدي ، واعتدى عليها
المعتدون .

سكوت القرآن عن بعثة نبي جديد :

و هذا الكتاب الخالد الذي هو الفرقان و الميزان ، والذي
هو تبيان للناس ، و الذي لم يهمل أصلا من أصول الدين ،
يتوقف عليه فلاح الدين و الدنيا ، وتتوقف عليه النجاة و السعادة ،
ساكت عن ورود نبي جديد ، مع أنه كان من أهم المهام الذي لا
يقبل الغموض و الابهام ، فضلا عن السكوت ، فالكتاب الذي
يذكر الشئ الكثير من أشراط الساعة ، و الحوادث التي تحدث
في آخر الزمان ، ويتحدث عن الدخان (١) ، وعن الدابة (٢) ،
و يأجوج و مأجوج (٣) ، من حوادث آخر الزمان ، كيف لا
ينبئ عن نبي يبعث في هذه الأمة أو غيرها ، و يهتدى العقول
و النفوس - التي تنفر عن كل جديد ، و تنفر من التكاليف
و المسؤوليات - للترحيب به و قبول دعوته ، و الانضواء إلى

(١) يوم تأتي السماء بدخان مبين . يغشى الناس هذا عذاب أليم . (الدخان ١٠-١١)

(٢) وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا
بآياتنا لا يوقنون ، (النمل : ٨٢) .

(٣) و حتى إذا فتحت يأجوج و مأجوج ، وهم من كل حذب يسفلون (الأنبياء : ٩٦)

رأيت ، و قد عرف اعتناء القرآن الزائد ، و اهتمام الرسول ﷺ
 البالغ بكل ما ينفع في الدنيا والآخرة ، والتحذير عن كل ما يضر ،
 و يعرض لسخط الله و عقابه ، و الحرص الشديد على أن يكون
 المسلمون على بينة من أمرهم ، مستعدين لمواجهة ما يتحدى دينهم ،
 و يفسد عقيدتهم ، و يغير على إيمانهم ، و قد زخرت كتب
 الحديث بالأحاديث الواردة في المسيح الدجال ، و فتنه و محنته ،
 أيعقل من هذا الكتاب الذى هو تنزيل من حكيم حميد ، و من هذا
 النبى الذى يصفه القرآن بأنه « عزيز عليه ما عتتم حريص عليكم ،
 بالمؤمنين رؤوف رحيم (١) » ، أن يترك أمته فى عماء و ظلام ،
 و جهالة مطبقة ، و حيرة مردية ، عن هذا الحدث الأكبر ،
 و النبأ العظيم الذى هو أهم بكثير مما لهج لسان النبوة بذكره ، و زخر
 دواوين السنة بتفاصيله ؟

الأحاديث الصحيحة الصريحة المتواترة :

ثم لم يقتصر النبى ﷺ ، على ما جاء صريحاً فى القرآن عن
 كمال هذا الدين ، و انتهاء سلسلة النبوة عليه ، مما لا يدع مجالاً للشك
 لكل من عرف اللغة العربية ، و لم يتل بفساد الذوق أو سوء
 النية ، أو ابتغاء الفتنة ، بل شرحه لأمنه فى وضوح لا وضوح

فوقه ، و في بسط و تفصيل لا يتصور أكثر منه ، و ضرب
لذلك الأمثال البليغة ، وقد زخرت كتب الحديث بهذه الروايات
التي وردت في معنى أن رسول الله ﷺ هو آخر الرسل وخاتم
الأنبياء (١) و تقتصر هنا على خمسة أحاديث وردت في الصحاح
حتى يتبين الصبح لذى عينين :

١ - قال النبي ﷺ : « كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء
كلما هلك نبي خلف نبي ، و أنه لا نبي بعدى ، و سيكون
خلفاء (٢) » .

(١) قال العلامة السيد أنور شاه الكشميري شيخ المحدثين في عصره (١٣٥٢م)
في كتابه « عقيدة الاسلام » : « تواترت الأحاديث في ختم النبوة نحو مائتي
حديث » (ص : ٣١٨) وقد جمع العلامة المفتي محمد شفيع الديوبندي كبير
علماء باكستان الأحاديث الواردة في هذا المعنى في كتابه « ختم النبوة » فبلغت
٢١٠ حديثاً ؛ وقد تزيد على ذلك عند المستقصين ، و تكلم على هذه الأحاديث
و بحث فيها و في أقوال العلماء و المتكلمين و الأصوليين و الصوفية العلامة
محمود حسن خان الطوكي (م ١٣٦٦) مؤلف موسوعة « معجم المصنفين » ،
في كتابه « معيار السنة لحتم النبوة » و هو من أحسن ما قرأت في هذا
الموضوع .

(٢) الجامع الصحيح البخاري . كتاب المناقب باب ما ذكر عن نبي إسرائيل . و سلم في
كتاب الامارة واحد في مسنده ؛ و ابن ماجه و ابن جرير و ابن أبي شيبة .

٢ — قال النبي ﷺ : « إن مثلى و مثل الأنبياء من قبلى ، كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه و أجمله ، إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به و يعجبون له ، و يقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ، فأنا اللبنة ، و أنا خاتم النبيين (١) » .

٣ — إن رسول الله ﷺ قال : « فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، و نصرت بالرعب ، و أحلت لى الغنائم ، و جعلت لى الأرض مسجداً و طهوراً ، و أرسلت لى الخلق كافة ، و ختم بى النبيون (٢) » .

٤ — قال رسول الله ﷺ : « إن الرسالة و النبوة قد انقطعت ، فلا رسول بعدى و لا نبي (٣) » .

٥ — عن جبير بن مطعم أن النبي ﷺ قال : « أنا محمد ، أنا أحمد ، و أنا الماحى الذى يمحو الله به الكفر ، و أنا الحاشر الذى يحشر الناس على عقبي ، و أنا العاقب الذى ليس بعده نبي (٤) » .

(١) الصحيح للبخارى (كتاب المناقب ، باب خاتم النبيين) و رواه مسلم و أحمد و الترمذى و ابن أبى حاتم ، و اللفظ للبخارى .

(٢) مسلم . الترمذى . ابن ماجة .

(٣) رواه الترمذى فى (كتاب الرؤيا ، باب ذهاب النبوة) و قال هذا حديث صحيح ، و قال ابن كثير فى تفسيره ، أخرجه أحد أيضاً .

(٤) رواه البخارى و مسلم و أبو نعيم فى الدلائل .

إجماع الصحابة و الأمة الاسلامية على انقطاع النبوة
بعد محمد ﷺ ، واستبشاعها ورفضها لهذه الدعوى :

و بسبب هذه الآيات اللينات المحكمات ، و الأحاديث
الصحيحة الصريحة ، التى بلغت حد التواتر ، أجمع الصحابة رضى
الله عنهم - و إجماعهم أكبر دليل من دلائل الثبوت الشرعى
- على انقطاع النبوة بعد النبي ﷺ ، و أنه لا نبى بعده فى كل
مفهوم من مفاهيم هذه الكلمة العربية التى كانوا يحسنون فهمها ،
و لذلك اتفقت كلمتهم عن آخرهم على قتال مسيلة الكذاب ،
و الحكم بكفره و رده ، لم يشذ منهم فى ذلك شاذ ، مع أن
مسيلة كان مقراً بنبوة محمد ﷺ ، و كان يؤذن للنبي ﷺ ،
و يشهد فى الأذان أن محمداً رسول الله (١) ، و كان مؤمناً
بالقرآن يرى العمل به فرضاً ، و إنما كان يفسر القرآن حسب
أهوائه ، و يدعى الإلهام ، و كان يدعى أنه أشرك فى نبوة محمد
ﷺ ، فكان أول فاتح لباب نبوة تابعة للشريعة المحمدية ، و كل
من ادعى ذلك فى العصور الأخيرة كان تابعاً له ، و قد قتل فى
حرب اليمامة ألف و مائة رجل من خيار المسلمين ، كما جاء فى
كتاب كتبه أبو بكر إلى خالد بن الوليد (٢) ، و قتل الأسود

(١) تاريخ الطبرى ج ٣ : ص ٢٤٤ . (٢) تاريخ الطبرى ج ٣ : ص ٢٥٤ .

الغنى الذى ادعى النبوة فى عهد رسول الله ﷺ .

ثم أجمع المسلمون فى كل عصر على انقطاع النبوة بعد محمد ﷺ ،
وأن كل من يدعى مارق من الدين ، متبع غير سبيل المؤمنين (١) ،
واستفاضت هذه العقيدة فى العالم الاسلامى كله ، و أصبحت جزءاً
من عقائد المسلمين التى يدينون بها و يعضون عليها بالنواجذ ،
وتوارثها الأجيال بعد الأجيال ، حتى أصبحت عقول المسلمين وطبيعتهم
لانسىخ ادعاء النبوة ولا تحمله (٢) ، لذلك قل عدد المنتسبين فى

(١) قد نقل الاجماع على ذلك القاضى عياض (م ٥٤٤ هـ) فى كتابه المشهور

« الشفاء » و بسط القول فيه ، (« الشفاء » ج : ٢ ص : ٢٧٠-٢٧١) و
العلامة الشهرستانى (م ٥٤٨ هـ) فى كتاب « الملل و النحل » ج : ٣ ص :
٢٤٩ . و العلامة ابن نجيم (م ٨٩٧٠ هـ) فى كتاب « الاشياء و النظائر »
ص : ١٧٩ ، و العلامة ملا على القارى (م ١٠١٦ هـ) فى شرح « الفقه
الأكبر » ص : ٢٠٢ . و من كبار الصوفية : الامام عبد الوهاب الشعرانى
فى كتاب « اليواقيت و الجواهر » ص : ٣٥ . و كل ما نقل خلافه عن
عالم من علماء المسلمين الذين عليهم الاعتماد : إما مفترى عليه ، وإما مدسوس
فى الكتاب ؛ و إما قطعت عبارته عن سياقها و حرفت عن موضعها ، وإما
أسى فهم مراده عن قصد أو عن غير قصد .

(٢) لقد خلد التاريخ أسماء من ادعوا النبوة ؛ و لقبهم المسلمون بالمتبئين ؛ وبقى
هذا العار والقب الشنيع لاصفاً بهم ، ولم يساح التاريخ فى ذلك أشهر شاعر
من شعراء العربية ، و قد انتهت إليه رئاسة الشعر ، وعقد له اللواء ، و هو
أبو الطيب أحمد بن الحسين الكندى (م ٨٣٥٤ هـ) و قد غاب عليه لقب
« المتبى » فنطى اسمه .

المجتمع الاسلامى بالنسبة إلى اتساع العالم الاسلامى ، و تفاوته فى فهم الدين و التمسك به ، و بالنسبة إلى عدد المسلمين الضخم ، واضطراب الأمور فيهم ، و بالقياس إلى كثرة الدواعى إلى هذه الادعاءات ، بالعكس من الأمم السابقة التى كثر فيها عدد المنتبئين مع ضيق رقعة الأرض التى كانت تسكنها ، وقلة عدد المتدينين الذين كانوا يتدينون بهذه الديانات .

ثم إن من ادعى النبوة لم يحقق من النجاح ، و لم يكتسب من الاتباع ما كان يخشى من جهالة المسلمين ، و دهزاء المنتبئين ، و ما وردت به الأخبار الصحيحة عن عدد المنتبئين (الذى لا يتجاوز سبعين إلى أن تقوم القيامة) و الذى سجله التاريخ من أسمائهم وأخبارهم قليل ، نظراً إلى اتساع الأمة الاسلامية ، وامتداد نفوذ الاسلام ، و اضطراب العقائد ، و تشتت الأغراض و المذاهب ، ، و تلك نتيجة رسوخ عقيدة ختم النبوة فى أذهان المسلمين و تغلغلها فى أحشائهم ، و لوضوح الآيات ، و لصراحة الأحاديث ، التى وردت فى هذا المعنى و شهرتها واستفاضتها .

انقطاع النبوة تكريم للإنسانية و رأفة بها :

أشارت الحكمة الالهية بختم النبوة إلى أن الإنسانية قد بلغت سن الرشد ، و مرحلة النضج و الاستواء ، فقد خرجت من إطارها الضيق الذى عاشت فيه قروناً طويلة ، لأسباب تاريخية

طبيعية يطول شرحها ، و امتعدت لأن تدخل في مرحلة جديدة من العلم و المدنية ، و التعارف و الوحدة ، و تسخير الكون و طاقاته ، و التغلب على العوائق الطبيعية و التقسيمات الجغرافية ، و الفوارق السياسية ، و خرجت من مفهوم الأسر و القبائل ، و الشعوب و الأقاليم إلى مفهوم العالم الفسيح ، و الانسانية الواسعة ، و الهداية العامة و العلم المشاع .

و كانت كل الشواهد و التجارب تدل على أن سعاداتها في الاعتماد على ما نزل من وحى ، و صح من عقيدة و تشريع ، و تعين من حدود و غايات ، و أصول و كليات ، عن طريق النبوة التي كانت خاتمة للنبوءات ، و عن طريق الكتاب الذي كان مهيئاً للكتب ، و السير في ضوئه على هدى و بينة ، و شق طريق الحياة إلى الأمام ، و الاعتماد في مجال الحياة على القوى الطبيعية ، و وسائل العلم ، و العقل المؤمن ، و القلب السليم ، و السعى الهادف .

و كان شقاؤها في الزمن الماضي بالتباس الأمور ، و اختلاط الحق بالباطل ، و كثرة الدعوات المدعية للاتصال الخاص بالسماء ، و تلقى التعاليم من فوق كذباً و زوراً ، و توزيع الناس بين المؤمنين و الكافر على هذا الأساس .

وكان هلاك أمم كثيرة بالكفر بالأنبياء الذين كانوا يعثون فيها ، والذين كان يأتي بعضهم على إثر بعض ، فان النبوة ليست زعامة سياسية ، أو رئاسة دنيوية يهون إنكارها ومحاربتها ، والثورة عليها ، إنما هي فرقان بين الحق و الباطل ، و بها تتم حجة الله على هذه الأمة التي بيدك فيها النبي ، و يعرف المتبع للقرآن أن سبب هلاك الأمم السابقة لم يكن بالكفر المطلق ، و بمجرد فساد العقائد و الأعمال و الأخلاق ، إنما كان لتكذيبها بالنبي المبعوث فيها ، و استهزائها به ، وإهانتها له ، و قد قص القرآن قصة هذه الأمم في بسط و تكرار ، و اجترائها على نبيها المرسل ، وما لقيه منها من أذى و سخرية و إهانة أحياناً أخرى ، و الآيات في هذا المعنى كثيرة يصعب استقصاؤها ، ونقتصر هنا على بعضها :

« و دمت كل أمة برسولهم ليأخذوه و جادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب (١) » .

« كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضاً وجعلناهم أحاديث فبعداً لقوم لا يؤمنون (٢) » .

« قال رب انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين ،

(١) سورة غار : ٥٥ .

(٢) سورة المؤمنون : ٤٤ .

فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غنماً ، فبعداً للقوم الظالمين (١) .

• ولقد استهزئ^١ يرسل من قبلك لخلق بالذين سخروا منهم
ما كانوا به يستهزئون (٢) •

• ولقد استهزئ^٢ يرسل من قبلك فأمليت للذين كفروا
ثم أخذتهم فكيف كان عقاب (٣) •

• إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب (٤) •

• وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون (٥) •

وفي انقطاع النبوة توفير للجهود البشرية والطاقات الانسانية
عن أن تمتحن وتستنفد بعد كل فترة زمنية ، أو على مسافة مكانية ،
في التصديق و التكذيب ، و الايمان و الكفر ، و ذلك شئ
طبيعى ، إذا استمرت سلسلة النبوة ، واتصال الأرض بالسماء لتلقى
الوحى الجديد ، و التعليم المفيد ، و الشرع المزيـد ، و نهض بعد
حقبة من الزمان قد تطول و قد تقصر ، و على مسافة من المكان
قد تبعد و قد تقرب ، من يدعى النبوة ، و يدعى أن الله يخاطبه
و يوحى إليه ، وأنه كلف تبليغ الرسالة ، و يحكم بكفر من يكفر

(١) سورة المؤمنون : ٣٩ - ٤٠ - ٤١ •

(٢) سورة الأنعام : ١٠ و سورة الأنبياء ٤١ • (٣) سورة الرعد : ٣٣ •

(٤) سورة ص : ١٤ • (٥) سورة الشعراء : ٢٠٨ •

به وينكر نبوته ، ويحاربه حرباً شعواء لا هوادة فيها ولا رفق ،
و لا استثناء فيها و لا فرق ، و ينحت من الأمة الواسعة ، التي
ملأت الآفاق ، أمة صغيرة ، قد يبلغ عددها إلى مآت من
النفوس ، أو إلى آلاف ، أو مآت آلاف ، و هكذا يتشاغل
الناس — بعد كل فترة من الزمان — وفي أمكنة متعددة في هذا
العالم الفسيح في وقت واحد ، بالحكم على هذا المدعى أو المدعين ،
منهم المغبون في عقله ، و منهم المحترف بدينه ، و منهم من هو
صنيعة لغيره ، أو الملبوس عليه في عبادته لقلة علمه ، و كثرة
مجاهدته ، قد اتخذ الشيطان مطية و لعبة ، أو الحكومات ، أو
أصحاب الأغراض السياسية وسيلة و ذريعة ، إلى غير ذلك من
الامكانيات التي لا ينكرها العقل ، و لا تنفيها التجربة ، و لا
يكذبها الواقع ، فكل ذلك وجد في الديانات السابقة ، وظهر في
الأمة الاسلامية في بعض الفترات التاريخية .

مشكلة كثرة المتنبئين في الديانات السابقة
وخطرها على سلامة العقيدة ووحدة الديانة:

و تدل مطالعة صحف « العهد القديم » دلالة واضحة على أن
عدداً كبيراً من أصحاب الطموح ، و عشاق الجاه ، و الزعامة
الدينية ، تزعموا النبوة و السكھانة ، و الاتصال بعالم الغيب اتصالاً

مباشراً معتمدين في ذلك على رؤى و أحلام كانوا يرونها ، أو يزعمون أنهم يرونها ، و قد أحدث ذلك فتنة عظيمة في المجتمع اليهودى ، حتى لزم أن ينبه عليها عن طريق الصحف التى نزلت على أنبياء بنى إسرائيل ، وهنا تقتصر على بضع شهادات ملثقة من العهد القديم .

« هانذا على الذين يتبأون بأحلام كاذبة ، يقول الرب : الذين يقصونها و يضلون شعبي بالكاذبهم ومفائراتهم ، و أنا لم أرسلهم و لا أمرتهم ، فلم يفيدوا هذا الشعب فائدة يقول الرب . »
(إرميا ، الأصحاح ٢٣ ، آية ٣٢)

« فلا تسمعوا أتمم لأنبيائكم و عرافكم و حلمكم و عافيتكم و سحرتكم الذين يكلمونكم قائلين لا تخدموا ملك بابل ، لأنهم إنما يتبأون لكم بالكذب ، لئى يبعدوكم من أرضكم و لا طردكم قتللكوا . »
(إرميا ، الأصحاح ٢٧ ، آية ٩ - ١٠)

« فتحققت وهو ذا لم يرسله الله ، لأنه تكلم بالنبوة على ، و طوييا و سنبط قد استأجراه ، لأجل هذا قد استؤجر لئى أخاف و أفعل هكذا و أخطئ فيكون لهما خبر رديئى لئى يعيرانى . »
(نحميا ، الأصحاح ٦ ، آية ١٢ - ١٣)

« و كان إلى كلام الرب قائلاً : يا ابن آدم تنبأ على أنبياء

إسرائيل الذين يتنبأون ، وقل للذين هم أنبياء من تلقاء ذواتهم
اسمعوا كلمة الرب ، هكذا قال السيد الرب ، ويل للأنبياء الخفويين
الذاهبين وراء روحهم و لم يروا شيئاً .

(حزقيال ، الأصحاح ١٣ / ٢ - ٣)

« صار في الأرض دهش و قشعريرة ، الأنبياء يتنبأون
بالكذب ، والكهنة تحكم على أيديهم وشعبي هكذا أحب و ماذا
تعملون في آخرتها » ، (إرميا ، الأصحاح ٥ - ٣٠ - ٣١)

« لأنه هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل : لا تغشكم أنبياءكم
الذين في وسطكم ، و عرافوكم ، و لا تسمعوا لأحلامكم التي
تحلمونها ، لأنهم إنما يتنبأون لكم باسمي بالكذب ، أنا لم أرسلهم
يقول الرب » . (إرميا ، الأصحاح ٢٩ - ٨ - ٩)

و يبدو من الوثائق التاريخية اليهودية ، أن سلسلة هؤلاء
المتنبئين استمرت إلى بعد عهد تدوين «العهد القديم» ، وقد
تكاثر هؤلاء « المتنبئون » اليهود في البيئات التي كان اليهود فيها
هدف الاضطهاد والفساد و الاهانة ، واستشرف المجتمع اليهودي
من ينقذه من هذه الحالة المزرية ، و يتصرف من عدوه ، ويرد
إليه الاعتبار و الكرامة ، و استغل هذه النفسية المكرومة المتوترة
بعض الأذكيا الذين لا يخافون الله ، و لا يرجون حساباً و لا

كتاباً ، فاعتبروا ذلك فرصة سانحة لتحقيق مآربهم الشخصية ،
 أو أغراضهم السياسية ، ففاجأوا أبناء ملتهم بمبشرات و تكهنات ،
 و عود خلافة ، وأسسوا عليها نبوتهم الجديدة ، و كان لها سحر
 عجيب في النفوس البائسة ، التي ضاقت ذرعاً بالظروف القائمة التي
 طال أمدها ، فأقبل عليهم عدد كبير من المصدقين و المصفيين ،
 واضطربت العقائد ، و شاعت البدع ، و نشأت طوائف محدثة
 هالت الغيارى على التلميحات اليهودية الأصلية و أفزعهم ، يقول
 البرت ايم تانمنس (Albert M. Tyamson) عضو المجمع التاريخي
 اليهودي الأمريكى البريطانى فى دائرة معارف الأديان و الأخلاق :
 « يكثر الحديث فى تاريخ اليهود عن المتزعمين الذين كان كل
 واحد منهم يدعى أنه « المسيح الموعود » و ذلك فى الفترة التي
 أعقبت تجريد الحكومة اليهودية عن الحرية ، و دامت إلى عدة
 أجيال ، و كان هؤلاء المبشرون بالعهد الزاهر ، و الغد الباسم
 لا يزالون يعيشون فى اليهود — فى أحلك عصورهم — أمل العودة
 إلى وطنهم الذى أجلى منه آباؤهم فى الزمن الماضى ، و كان أكبر
 عدد من هؤلاء المتزعمين ينهض فى أمكنة و أزمنة يبلغ فيها اضطهاد
 اليهود أوجه ، و كانت تلوح طلائع الثورة على هذا الوضع المخزى ،
 و كانت هذه الحركات غالباً تتسم بسمة السياسية ، و قد غلبت

الصبغة السياسية على هذه الحركات في الزمن الأخير ، و رغم أن هذه الحركات لم تكن تتجرد عن المظهر الديني تجرداً كاملاً ، وإسكنها كانت في غالب الأحيان تشجع على البدع ، و توسع بذلك نفوذها ، و تقوى سلطانها ، لذلك كانت جنايتها عظيمة على التعاليم اليهودية الأصلية ، و تتجم فرق متطرفة تنضم أخيراً إلى المسيحية أو الاسلام (١) .

وقد استمر النبوء و التزعم للنبوة بدوافع شخصية و طائفية و اقتصادية و سياسية إلى ما بعد المسيح ، و هنا شهادات من « العهد الجديد » تدل على كثرة المتنبيين و خطرهم .

« و في تلك الأيام انحدر من أورشليم إلى انطاكية و قام واحد منهم اسمه « اغابوس » ، و أشار بالروح أن جوعاً عظيماً كان عتيداً أن يصير على جميع المسكونة الذي صار أيضاً في أيام كلويس قيصر » . (أعمال الرسل ، الأصحاح ١١ / ٢٧-٢٨)

« وبينما نحن مقيمون أياماً كثيرة انحدر من اليهودية نبي اسمه اغابوس فجاء إلينا ، و أخذ منطقة بولس ، و ربط يدي نفسه و رجله ، وقال هذا يقوله الروح القدس ، الرجل الذي له هذه

(١) دائرة معارف الأديان و الأخلاق (Encyclopaedia of

Relegion and ethics) ج : ٨ ص ٥٨٨ .

المنطقة ، هكذا سيربطه اليهود في اورشليم ، و يسلبونه إلى أيدي الأمم . . (أعمال الرسل ، الأصحاح ، ٢١ / ١٠ ، ١١)

« احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بشباب الحملان و لكنهم من داخل ذئاب خاطفة » .

(إنجيل متى ، الأصحاح ، ٧ / ١٥)

« ولكن ما أفعله سأفعله لأقطع فرصة الذين يريدون فرصة كي يوجدوا كما نحن أيضاً فيما يفتخرون به ، لأن مثل هؤلاء هم رسل كذبة ، فعلة ، مأكرون ، مغيرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح » . (رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل

كورنتوش ، الأصحاح ، ١١ ، ١٢ ، ١٣)

« أيها الأجبار لا تصدقوا كل روح ، بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله ، لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم » .

(رسالة يوحنا الأولى ، الأصحاح ، ٤ / ١)

« وكان قبلا في المدينة رجل اسمه سيمول ، يستعمل السحر ،

و يدهش شعب السامرة قائلا : إنه شئ عظيم ، و كان الجميع يتبعونه من الصغير إلى الكبير قائلين : هذا هو قوة الله العظيمة » .

(أعمال الرسل ، الأصحاح ، ٨ / ٩ ، ١٠)

« ولما اجتازا الجزيرة إلى بافوس ، وجدا رجلا ساحراً ،

نياً كذاباً يهودياً ، اسمه باريشوع . .

(أعمال الرسل ، الأصحاح ، ١٣ / ٦)

« فأجاب يسوع وقال لهم انظروا لا يضلكم أحد فان كثيرين

سيأتون باسمي قائلين أنا هو المسيح ، و يضلون كثيرين . .

(إنجيل متى ، الأصحاح ، ٢٤ / ٤ ، ٥)

« هل يجتنون من الشوك عباً ، أو من الحسك تيناً . .

(إنجيل متى ، الأصحاح ٧ / ١٦)

أما ما يتصل بالعهد المسيحي و الحديث عن مشكلة ظهور
المتنبئين والكهان ، والمتزعمين للهداية الربانية المباشرة، فنقتصر هنا
على شهادة واحدة لكاتب مسيحي صاحب اختصاص في الموضوع ،
يبدو للتأمل فيها تدمير العلماء المسيحيين من هؤلاء المتنبئين الذين
تكاثر عددهم في العهد الأخير ، وإشفاقهم البالغ على سلامة العقيدة
و وحدة الديانة ، و هدوء الحياة ، يقول « ايدون ناكس متكل »
(Edwin knox Mitchell) أستاذ تاريخ الكنيسة اليونانية الرومية،
و الكنيسة الشرقية في معهد الديانات : « هارت فورد » (Hart
Ford) في مقال كتبه لدائرة معارف الديانات و الأخلاق ،
يقول هذا الكاتب :

« إن ظهور المتنبئين الأدعياء الذين كانوا يدعون الحكمة التي

مصدرها الغيب و ما وراء العقل ، أحدث اضطراباً وعدم ثقة ،
و جعل قادة الكنائس وأساقفتها يشعرون بالخطر الذى كان يهدد
مستقبلها ، و يخلق على رؤوسهم ، و لكنهم لم يهتدوا بعد إلى
طرق تآدينية ملائمة وافية بالمراد ، لزجر هؤلاء الادعياء والدعاة ،
الذين كانوا يزعمون أن الله يكلمهم ويوح لهم بأسراره المكتومة ،
و لم يكتشفوا بعد ميزاناً يمتحن به مدى روحانية هؤلاء المتزعمين ،
و مبلغها من الصدق ، و كان العثور على هذا المعيار و المحك قد
أصبح لازماً لمصالح الكنيسة ، وكانت الكنيسة مهتدية إليه لاحالة ،
لتصون الدين — عن طريق هذا المحك — عن القوضى فى المبادئ
الأساسية ، و الحياة عن الاتجاه إلى الالحاد ، و هكذا تستطيع
أن تنشئ سياجاً حول كيائها تعيش فيه بهدوء و سلام .

و يقول و هو يتحدث عن كثرة الادعياء و المتنبيين فى
العالم المسيحى :

« إن تأليف « هيرمو پاستر » Hermo Paster ، الذى سماه
« Mand » و مؤلفات « إجناتيس » Ignatius مملوءة بتنبهات
و تعليقات ضد الدجالين من المتنبيين و المعلمين . »

و تدل مطالعة كتاب « The didache » على أن السكناة

كانت لا تزال تتمتع بحرية زائدة ، بل كانت لها مكاة مرموقة في سوريا (أو مصر) مع أنها كانت في غالب الأحيان مصطنعة مزورة ، وكانت الكنيسة ترفضها رفضاً باتاً ، ولكنها كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة ، وكانت لتفقد اعتبارها في المستقبل القريب ، و تواجه معارضة واجهها جميع الأشخاص الذين غلوا في ادعاء الحكمة الغيبية ، إن العارفين الروحانيين (غنوسطين) « Gnostics » و المارسيين « Marción » كان لهم أنباء يختصون بهم ، و كنائس تتصل بهم و كان من الصعب في بعض الأحيان التمييز بينهم ، و كان حركة « مونتازم » (Montanism) مشجعة لدعوى النبوة ، و كانت في الحقيقة سعيًا وراء إحياء الأحوال البدائية التي مرت بها المسيحية ، حين كان كل مؤمن بهذه الديانة حراً في استخدام المواهب التي أكرمه الله بها .

و اتخذت الكنيسة موقف الدفاع (ضد هذا السيل الجارف من النبوءات و السكهنات ، و المزاعم و الادعاءات) و هكذا فرضت رقابة و حجراً عن طريق الوثائق المكتوبة على السكهنات و النبوءات ، و هكذا فقدت الدعاوى الطويلة العريضة ، و « المعجزات » و شفاء الأمراض قوتها و نشاطها ، ولم يته القرن الثاني المسيحي ، حتى أصبح رؤساء الكنيسة و المسؤولون عنها مسيطرين على أصحاب

الكهانات و النبوءات ، مالكين لزامهم (١) .

ختم النبوة نتيجة حتمية لوضع هذا الدين الكامل :

ثم قد اقتضى ذلك — ختم النبوة — طبيعة هذا الدين الذى جاء به محمد ﷺ ، تاماً كاملاً ، فى العقائد والشرائع ، والتعاليم الخلقية و الاجتماعية و المدنية ، حاوياً للأسس السليمة الصالحة ، التى يقوم عليها المجتمع الصالح و المدنية الرشيدة فى كل زمان و مكان ، و يبلغ بها الفرد البشرى ذروته فى التقدم و الاكتمال ، و يحقق به أهدافه الصالحة من غير أن يشعر بعرقلة فى هذا السير الطبيعى ، و البلوغ إلى قمة الحسن و الاحسان ، و الجمع بين حسنى الدنيا و الآخرة . ، ومن غير أن يشعر بنقص فى مجال التشريع ، و عجز عن مسامرة الحياة ، و تحقيق مطالبها الفطرية ، بل يجد هذا التشريع سابقاً للزمن ، باهراً للعقل البشرى .

و قد دلت دراسة الكون ، و تتبع سنن الله فى هذا العالم الفسيح ، و فى ماضى الأمم و حاضرها ، أنه لا فضول عنده

(١) راجع مقال النبوة و التنبؤ (فى الدور المسيحى) دائرة المعارف للديانات

و الأخلاق (Encyclopaedia of Religion and eathics)

- (1939 P. P. 383/84) -

ولا تقصير ، وأن كل شئ عنده بمقدار ، وأنه ينزل الأشياء كلها بقدر ، وأن كل ما نراه مما يبدو زائداً أو قليلاً ، أو متجاوزاً أو متخلفاً ، إنما هو من قصور نظرنا وقلة علمنا ، والتكليف والتشريع أحق من التكوين والعالم الطبيعي ، بالدقة والانتقان والتناسب ، لأنه غاية ، والكون وسيلة ، فلولم يقم دليل نقل على اختتام النبوة على محمد ﷺ لعرفنا بحكم العقل أن النبوة الجديدة التي يمتحن بها البشر بعد النبوة المحمدية إرهاباً للبشرية ، فيها لا لزوم له ، وجهاد في غير جهاد ، ومخالف لما عرفناه من سنن الله في خلقه وفي هذا العالم .

حيوة هذا الدين ، وقوة توليده ، وإنتاجه
للعارفين وأصحاب اليقين والمصلحين والمجدين :

و ليس لأحد من أفراد الأمة بل من أفراد البشر ، في أى عصر من العصور ، عذر في عدم الوصول إلى مراتب اليقين ، وأعلى درجات القرب والوصول ، وغاية الرضا والقبول ، والاختبات والاثابة ، وتركبة النفس وتهذيب الأخلاق ، إلا ضعف إرادته وقصور همته ، وإخلافه إلى الأرض واتباع الهوى ، أو جهله للقرآن والحديث ، وإلا فهذا الدين زاهر بالحياة

و القوة والجددة ، متكفل بجميع السعادات الدنيوية و الآخروية ،
يلتزم الإنسان بالعمل به - في جد و عزم و إخلاص - إلى
درجة من درجات القرب و السمو و الكمال ، ليست فوقها إلا
النبوة .

« وحسبنا الكتاب المعجز الخالد الذي يتدفق بالحياة والقوة ،
و الذي لا تبلى جده ، و لا تنقضي عجائبه ، و الصلاة » التي
تزخر بالقوة و الحيوية كذلك ، و لها من الفضل و التأثير في
ربط الصلة بالله و الوصول إليه ، و قطع منازل القرب و الولاية
ما ليس لشيء آخر في الدين ، و بهما وصل المخلصون و المجاهدون
من هذه الأمة في كل عصر وجيل ، إلى مكانة في الإيمان و اليقين
و العلم و المعرفة ، و الربانية و الروحانية ، و القرب و الولاية ،
لا يصل إليها ذكاء الأذكاء ، و قياس العقلاء و الحكماء ، و ما زالوا
في عدد يفوق العد والاحصاء ، و لا يزالان يفيضان النمو و الحياة ،
و الجدة و النشاط ، و الروحانية الصافية الداخلة في نفوس هذه
الأمة و أجيالها ، تستغني بهما هذه الأمة عن نبوة جديدة ، و بعثة
جديدة ، و تعيش متصلة بالله مرتبطة به في كل دور من أدوار
حياتها ، و في كل عهد من عهود التاريخ ، تستمد لنفسها من
القرآن و الصلاة رابطة قلبية و قوة روحية ، و تمتد إلى العالم

المعاصر يد الدلالة والهداية ، ولذلك يقول الله تعالى : « وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم و ما جعل عليكم في الدين من حرج ، ملة أبيكم إبراهيم ، هو سماكم المسلمين من قبل و في هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم و تكونوا شهداء على الناس ، فأقيموا الصلاة و آتوا الزكاة و اعتصموا بالله ، هو مولاكم ، فنعم المولى و نعم النصير (١) » .

ثم إن هذا الدين تكن فيه قوة حافظة عجبية ، على الثورة على كل ما يخالف هذا الدين وينحرف عن الجادة ، ويعرض الانسانية وبقايا الخير للهلاك والتلف ، باعثة على التحدى للباطل ، ومحاربة قوى الشر و الرذيلة ، و الدعاة إلى الفساد و الالمحاد ، و رد الأمر إلى نصابه ، و على الحسبة على الأخلاق ، و كلمة حق عند سلطان جائر ، و المجازعة بالحياة ، و التخلي عن المنافع واللذات ، و الانكار على البدع و الخرافات ، و الفتن والضلالات ، مهما كلف ذلك من خسارة في الأموال و الأرواح ، وعذاب للأبدان و الأجسام ، فلم يزل هذا الكتاب الذي يفرض على المسلمين أن يكونوا قوامين بالقسط ، شهداء لله ، ولوعلى أنفسهم أو الوالدين

(١) سورة الحج : ٧٨ .. ما بين الحلالين مقتبس من كتاب المؤلف «الأركان الأربعة» .

و الأقربين ، غير متعاونين على الأثم و العدوان ، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم، آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر، أولياء لله و لاتباعه ، محاربين للشيطان ولأوليائه ، لا يبيعون دينهم بدنياهم ، ولا يؤثرون العاجلة على الآجلة ، وترد الأخبار الصحيحة الصريحة الحاسمة في و جوب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، والجهاد بما استطاعه الانسان من يد و من لسان و قلب ، والوعيد الشديد لمن ترك الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، و مالا أعداء الله و المحرفين و المتبدعين ، و تواتر ذلك و استفاض ، فظل هذا الكتاب ينشئ في كل ناحية من نواحي العالم ، وفي كل فترة من فترات التاريخ الاسلامي ، من يحمل راية الجهاد والتجديد ، و يقود حركة الإصلاح والدعوة ، ويخوض المعركة ، غير مكترث بالعواقب « فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، و ما بدلوا تبديلا (١) » .

و قد بشر لسان النبوة بأن الله يقبض لهذه الأمة في كل قرن — وهو فترة زمنية ذات اعتبار في حياة الأمم — من يقوى صلتها بهذا الدين وينفخ فيها روحاً جديدة ، فقال : « إن الله يبعث

(١) سورة الأحزاب : ٢٣ .

لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها (١) .
و هو الكتاب الذى منع من الانحراف مع تيسار الفساد
و الضلالة ، و الترف و الجاهلية ، و نفخ روحاً جديدة فى أجساد
ضعيفة ، و أشعل شعلة الايمان و الحماس فى همم هامدة ، و قلوب
خامدة .

اتصال تاريخ الإصلاح والتجديد فى الاسلام ، وسره :

« إن تاريخ الإصلاح و التجديد متصل فى الاسلام ،
و المتقضى لهذا التاريخ لا يرى ثغرة ولا ثلة فى جهود الإصلاح
و التجديد ، ولا فترة لم يظهر فيها من يعارض التيار المنحرف و يكافح
الفساد الشامل و يرفع صوت الحق ، و يتحدى القوى الظالمة ، أو
عناصر الفساد ، و يفتح نوافذ جديدة للتفكير ، و الدارس لهذا
التاريخ و المتتبع لحوادثه و شخصياته لا يعرف عهداً قصيراً ساد
الظلام فيه على العالم الاسلامى ، و خبت مصابيح الإصلاح ، و خفتت
أصوات الحق ، و مات الضمير الاسلامى ، و تبلد الشعور ، و أضرب
الفكر الاسلامى عن العمل ، إن هذه الثغرات التى قد نشعر بها

(١) رواه أبو داؤد عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، و لعلماء الاسلام
بحوث و رسائل فى شرح هذا الحديث و ذكر من كان مصداقه فى تاريخ
الاسلام ، تجلت فيها أدواقهم و اتجاهاتهم .

في دراستنا العابرة للتاريخ الاسلامي ، وفي نظرتنا العجلى في كتيبه ،
 ان مردها الى منهاج التأليف الذي اتخذه المؤرخون للاسلام قديماً
 و حديثاً ، و درجت عليه الأجيال ، ان النقص في التأليف وليس
 في التاريخ ، أوبكلمة أخرى : ان المسؤولية على المؤرخين والمؤلفين ،
 لا على المجتدين والمصلحين ، الذين ظهروا حيناً بعد حين ، وحفظوا
 على الاسلام جدته و شبابه ، وقضوا على كثير من الفتن والبدع
 و المؤامرات و التحريفات ، حتى أصبحت مطبوعة في ركام
 الماضي ، لا يهتدى إليها أحد في هذا العصر إلا بعد بحث وعناء ،
 و كثير من أفراد هذا الجيل لم يسمعوها بأسمائها و لا يعرفون
 حقيقتها إلا بشق الأنفس ، و لإجهاد العقل و العين ، و قد كان
 بعض هذه المذاهب و بعض الحركات تتمتع بحماية البلاط ، وتستند
 إلى الملك و السلطان و المال و الجاه ، و قد كانت في عصرها
 صاحبة حول و طول ، و لكنها طويت — بفضل جهود هؤلاء
 المسلمين المصلحين المخلصين — في صحائف الماضي ، و أصبحت
 موضوع علماء الآثار ، لا محل لها إلا في المتاحف والصحائف (١) .

جناية عقيدة استمرار النبوة أو «الامام المنتظر»
 على الشعور بالمسؤولية ، وقوة مقاومة الفساد :

و لا شك أن الفضل في اتصال تاريخ الجهاد و التجديد ،

(١) مقتبس من «رجال الفكر و الدعوة في الاسلام» ص : ٢٧ .

و البطولات و المغامرات ، في سبيل إعادة الأمور إلى نصابها ،
و المياه إلى مجاريها الطبيعية ، والأخذ على يد الظالم ، و الانتصار
للمظلومين في تاريخ الاسلام ، يرجع إلى اعتبار الأمة — خاصة العلماء
منها — نفسها مسئولة عن إقامة الحق والعدل ، و الموازين
القسط ، و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، و الدعوة إلى
الدين الخالص ، لا تنتظر لذلك نيداً جديداً يبعث ، و قوة غيبية
تصل بالسما اتصالاً مباشراً ، ولا تعتمد في ذلك على شئ غامض
يجل عن العقول و الظواهر ويدق فهمه ، فيقوم على مجرد التقاليد
و التقديس .

و الأمم و الطوائف — الاسلامية و غير الاسلامية —
التي تمسكت بمثل هذه العقائد ، لم تعتبر نفسها مسئولة و لا مكلفة
لمحاربة الباطل و قوى الشر ، و إقامة الحق والعدل ، و عاشت
في عالم الخيال و الأمانى و الأحلام قروناً طويلة ، و استسلمت
للأوضاع الفاسدة ، و أدخلت إلى الدعة و الراحة و التواكل ،
و ضعفت في تاريخها حركة الإصلاح والتجديد ، و خفت أصوات
الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، و يحار المتبع لتاريخها في
فهم السر في هذا الفراغ الذي لا يحمل على مجرد مصادقة ، ويعجز
عن تليله ، و ما ذلك إلا لاعتماد هذه الطائفة الإعتماد الزائد على

شخصية غامضة مقدسة ، تحمل من علوم الأسرار والأمانة الباطنة ،
و الصلة السرية بينه و بين فاطر الكون و صاحب الرسالة ما لا
يحملة غيرها ، و ستفاجئى العالم بظهورها فى وقت مناسب ، و تقلب
الأوضاع (١) .

و لاشك أن قضية نبي جديد ، و أنبياء جدد ، و عقيدة
استمرار النبوة و نزول الوحي و المكالمات و المخاطبات الالهية
التي أسس عليها بعض المدعين نبوتهم ، و استدلوا بها فى صدق
دعواهم ، أدق وأخطر ، و أعمق تأثيراً فى العقول والنفوس ، فانها
تضعف ثقة هذه الأمة بصلاحيه دينها و شريعتها ، و خلود رسالتها ،
و استغنائها عن نبوة جديدة ، و عن تعليمات جديدة من السماء ،
و تحول بينها و بين اعتمادها على طاقاتها و صلاحيتها و كفاحها ،
من حيث تشعر و من حيث لا تشعر ، هذا عدا أن إمكان ذلك
يجعلها فريسة للأدعياء و الدجالين ، و المحترفين المشعوذين ، ولعبة

(١) و خير مثال لهذا الاعتقاد و الاعتماد ، ما يعتقد الشيعة الامامية فى الامام
الغائب ، وهو الامام الثانى عشر فى اعتقادهم ، فيعتقدون أنه يرجوعه بملا
الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، و هو محمد المهدي ابن الحسن العسكري ،
ولذ ينفذ سنة ١٢٥٥ هـ و يعتقدون أنه دخل مع أمه سرداباً فى د سمرام ،
و لم يعد إلى الآن و هو حى لم يميت (اقرأ أصل الشيعة و أصولها .
للشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، ص : ٢ - ١٠٩ .

لدهائهم و ذكائهم .

رحمة بالامة الاسلامية و منة عليها :

فكان من أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة ومن خصائصها
سد هذا الباب إلى الأبد ، و الاعلان السافر الصريح الواضح
البين بأن النبوة قد ختمت بمحمد ﷺ ، و أن الدين قد أكمل
للمسلمين قبل أن يفارق الرسول هذا العالم ، و يلحق بالرفيق الأعلى ،
و أن الله قد آتم نعمته على هذه الأمة ، فلا نبي بعد محمد ﷺ ،
و لا أمة بعد الأمة الاسلامية ، و تلك نعمة حسد المسلمين عليها
حكاه اليهود و فقهاؤهم الذين عرفوا بلاء اليهود من كثرة أذعبياء
النبوة و متزعميها في العالم اليهودي ، و ما جر ذلك من بلبلة فكرية
و اضطراب عقائدي ، و صراع مذهبي ، و تمزق اجتماعي ، فقد جاء
في الحديث الصحيح : « جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب
— رضى الله عنه — فقال : يا أمير المؤمنين إنكم تقرأون آية في
كتابكم ، لو علينا معشر اليهود نزلت ، لا اتخذنا ذلك اليوم عيداً ،
قال : و أى آية ؟ قال : قوله : « اليوم أكملت لكم دينكم ، و آتممت
عليكم نعمتى » فقال عمر — رضى الله تعالى عنه — : « و الله إنى
لأعلم اليوم الذى نزلت على رسول الله ﷺ ، و الساعة التى نزلت

فيها على رسول الله ﷺ ، عشية عرفة في يوم الجمعة (١) ، ،
و هذا يدل على عظم هذه النعمة و جلالتها ، حتى يتحسر علماء
اليهود ، و يحسدوا المسلمين عليها ، كما أنه يدل على أن الأديان
السابقة لم يكن لها حظ من هذا الاعلان و الضمان ، و الكرامة
و السكفالة ، و كان ذلك بطبيعة الحال ، فانها كانت في دور الشؤ
و الارتقاء ، و كانت السلالة البشرية في دور التطور و الانتقال .
و كانت الرسالة الأخيرة الخاتمة التي فصلت على أكبر قامة و أدق
مقياس لم تنزل بعد ، و تلك منزلة خص الله بها محمداً ﷺ آخر الرسل
و خاتم النبيين . و أكرم الله بها هذه الأمة ، آخر الأمم و أوسطها .

الحارس من الفوضى الفكرية :

لقد بقيت عقيدة ختم النبوة تحرس هذا الدين من غائلة
المبتدعين ، و فتنة المتنبئين و المتزعمين ، و تحرس هذه الأمة من
الفوضى الفكرية و الدينية ، التي كانت الأمم السابقة و الديانات
السالفة فريستها ، و استطاع هذا الدين و استطاعت هذه الأمة
— بفضل هذه العقيدة — أن تقاوم المؤامرات الدقيقة ، و تحتمل
الصدمات العنيفة ، و بقيت وحدة في الدين و العقيدة ، لم تواجه

(١) رواه البخارى ، و أصحاب الصحاح والسنن ، والامام أحمد ، واللفظ لأحمد .

ثورة داخلية أو اضطراباً فكرياً — إلا ما كان من الباطنية في العهد القديم — و لا تنقسم هذه الأمة في الأمم ، لكل وجهتها ، ولكل مركزها الروحي و مصدرها العلي و الثقافي ، و لكل تاريخ منفرد و ماض مختلف .

فضل عقيدة ختم النبوة على المدنية :

وقد بعثت هذه العقيدة في الانسان الثقة يبلوغه سن الرشد ، وكان ذلك حافزاً للانسان على التقدم في مضمار المدنية ، والاعتماد على العلم ، والتجربة في الحياة اليومية ، فليست حاجة العالم اليوم أن ينتظر وحياً جديداً من السماء فيرفع بصره إليها ، وإنما حاجته اليوم أن يفكر في مواهب هذا السكون وطاقاته التي خلقها الله تعالى ليشغلها الانسان في صالحه ، ويستخدمها لحوائجه ، كما أن حاجته اليوم أن يهتف في نفسه ، و ينظر إلى الأرض لبناء حياة أفضل ، تقوم على أساس من الدين والأخلاق ، إن الاعتقاد بانتهاء النبوة يبعث في الانسان روح الطموح والتقدم ، ويحثه على بذل مواهبه ، ويعين له المجال السليم لكفاحه و جهوده .

لولا عقيدة ختم النبوة لفقد الانسان ثقته بنفسه ، و بقي في ريب دائم ، وظل شاخصاً يبصره إلى السماء ، بدلاً من أن ينظر إلى الأرض ، و فقد ثقته بمستقبله ، و ثارت شبهات و شكوك

حواله ، و وقع فريسة المتنبيين على النوم ، و لا يظهر متنبئ يؤكد له « أن الروضة الانسانية كانت ناقصة ، فجئت و بلغت إلى كمالها (١) » ، إلا أنه يضطر إلى اعتقاد أن هذه الروضة إذا كانت ناقصة إلى الآن ، فأى ضمان لكمالها في مستقبل الحياة الانسانية .

و هكذا يستمر انتظاره لمن يبلغ بهذه الروضة إلى حد الكمال ، دون أن يتمتع بأزهارها و ثمارها ، و دون أن يهيم سقيها و رباها .

يقول الدكتور محمد إقبال في كتابه « تجديد الفكر الديني في الاسلام » :

« إن النبوة في الاسلام لتبلغ كمالها الأخير في إدراك الحاجة إلى إنهاء النبوة نفسها ، و هو أمر ينطوى على إدراكها العميق ، لاستحالة بقاء الوجود معتمداً إلى الأبد على مقود يقاد منه ، و أن الانسان لكي يحصل كمال معرفته لنفسه ينبغي أن يترك ليعتمد في النهاية على وسائله هو ، إن إبطال الاسلام للرهبنة ، و وراثته الملك و مناشدة القرآن للعقل و التجربة على النوم ، و إصراره على أن النظر في السكون و الوقوف على أخبار الأولين من مصادر المعرفة

(١) من كلام متنبئ الهند المرزا غلام أحمد القادياني في شعر له .

الانسانية ، كل ذلك صور مختلفة لفكرة انتهاء النبوة (١) . .

فتنة المنتبين الكبرى :

لم يمتحن الاسلام و المسلمون في تاريخ الاسلام الطويل بفتنة أعظم و أدق من فتنة المنتبين ، إلا أن دعوة أكثرهم لم تلق نجاحاً يذكر ، و قد ماتت في مهدها ، و لم يبق لها عين ولا أثر ، و لكن الشأن يختلف فيما يختص بمنتبئ شبه القسارة الهندية في القرن التاسع عشر و العشرين : المرزا غلام أحمد القادياني (١٨٤٠ - ١٩٠٨) لأسباب سياسية اقتضت ذلك (٢) .

فقد فتح باب النبوة على مصراعيه ، و قال : « إن اتباع النبي ﷺ يمنح كالات النبوة ، وإن العناية بذلك والاهتمام ينحت الأنبياء الجدد و يخلقهم (٣) » ، و قال نجله و خليفته المرزا بشير الدين محمود : « لقد اعتقدوا أن كنوز الله قد نفدت ، ماقدروا الله حق قدره ، إنكم تتنازعون في نبي واحد ، وأنا أعتقد أنه سيكون هنالك ألف نبي بعد محمد ﷺ (٤) » .

(١) تجديد الفكر الديني في الاسلام ، ترجمة عباس محمود . ص : ١٤٤ .

(٢) راجع كتاب المؤلف « القادياني و القاديانية » .

(٣) حقيقة الوحي ، للمرزا غلام أحمد ، ص : ٩٦ .

(٤) أنوار خلافت ، ص : ٦٣ .

و قد أحدث ذلك فوضى في النبوة ، وفقدت كلمة «النبوة» جلالها و حرمتها و قداستها ، و أصبحت العوبة و عبثاً ، وهان على الناس بصفة عامة بعد المرزا أن يتنبأوا ، وما عرفنا في التاريخ الهندي — الذي لا يزال محفوظاً إلى حد كبير — شخصية أنكرت ختم النبوة ، و تجرأت على تأسيس دين جديد ، سوى الامبراطور «أكبر» ، غير أنه لم يدع النبوة ، كما ادعاها المرزا بصراحة و تنظيم ، و لكن المرزا هو أول من فتح هذا الباب بوجه عام ، و نهض عدد من المتنبيين ، و قد عد منهم الأستاذ محمد إلياس البرني إلى عام (١٩٣٦م — ١٣٥٥هـ) سبعة ، ولا شك أنه لم يكن إحصاءً دقيقاً ، وإلا فإن قام أحد باحصائهم بشئ من الاهتمام و الدقة ، لوجد في نفس مقاطعة «بنجاب» أكثر من هذا العدد بكثير .

وقد احتج على كثرتهم وضعف آرائهم ، و سفاهة أحلامهم المرزا بشير الدين محمود نفسه في إحدى محاضراته ، يقول :

« لقد نشأ في جماعتنا كثير ادعوا النبوة ، و أعتقد أنهم ليسوا في الدعوى كاذبين غير واحد منهم ، وفي الحقيقة إنهم ألهموا في أول الأمر ، ولا عجب إذا كان هذا الإلهام باقياً إلى الآن ، و لكن الخطأ الذي وقعوا فيه هو أنهم أخطأوا في فهم تلك

الالهامات ، وأنا شخصياً أعرف بعض هؤلاء. حتى أستطيع الاقرار
اخلاصهم و خشيتهم لله ، و لا يدرى ما فى قلوبهم إلا الله ،
سوى أنهم كانوا فى بادئ الأمر مخلصين ، وكانت بعض إلهاماتهم
من الله ، ولكن الذى سبب خسارتهم هو أن حكمتها خفيت عليهم
ففتروا (١) . .

فتة المكالمات و المخاطبات الالهية،
و رؤية البارئ تعالى فى الدنيا :

و يعرف المطلع على التاريخ الفكرى وتاريخ التصوف —
الاسلامى و غير الاسلامى — أن الاتصال بعالم الغيب عن طريق
الرياضات و المجاهدات ، و تلقى الالهام و الكلام ، و الهتافات
و الأصوات من هذا العالم ، كان مدخلا واسعاً للأوهام
و المغالطات و التناقضات ، و دخل منه الشئ الكثير من
الأضاليل و الأباطيل عن قصد و عن غير قصد ، كان من الصعب
دائماً التمييز بين مصادرها و درجاتها ، و ما هو من الله ، و ما
هو من الشيطان (٢) ، و ما هو نابع عن العادات و المألوفات ،

(١) د الفضل ، أول يناير ١٩٣٥ م .

(٢) وقد أشار إلى هذا الامكان الدكتور محمد إقبال الذى كان من كبار علماء الفلسفة

فى العصر الحديث ، فقال : د إني أعترف بأن مؤسس الجماعة الاحمدية —

و العلم السائد و الثقافة المنتشرة ، و العقائد التي نشأ عليها هذا
 « الملهم » أو « المحدث » ، أو « المكشوف له » ، وقد بين علماء هذا
 الشأن الذين سلكوا هذا الطريق أن التجرد عن تأثير العوائد
 و العقائد و البيئة في تلقى هذه « المغيبات » و فهمها يكاد يكون
 مستحيلا (١) .

— (القاديانية) سمع صوتاً و لكن الحكم بأن هذا الصوت كان من عند الله الذي
 يده الحياة و القوة ، أم كان مصدره الافلاس الروحي الذي كان سائداً في
 الناس ؛ يتوقف على هذه الحركة التي خلقها هذا الصوت ، إلى أن قال : « إذا
 اعتقد أن هؤلاء الأبطال الذين أسهموا في تمثيلية « الحركة الاحمدية » كانوا
 العوبة في يد الانحطاط و الزوال (حرف إقبال ص : ١٥٧ - ١٥٨) .
 و أبلغ من ذلك ما قاله في البيت : « أعاذ الله من إلهام ملهم نشأ و عاش
 في حكم أجني ، فانه أضر بالأمم ، وأشد فتكا بها من الفاتحين الوحوش أمثال
 « جنكيز » ، و « هولاكو » .

(١) لقد شرح الامام الرباني الشيخ أحمد السرهندي (م ١٠٣٤ هـ - ١٦٢٤ م)
 هذه النقطة شرحاً واثماً في بعض رسائله وجاء باشارات بليغة في هذا الموضوع
 تقوم على التجربة الشخصية و العلم العميق و الاطلاع الواسع ؛ إنه يرى أن
 العقل المجرد والكشف المجرد شيئان يندر وجودهما ووقوعهما . ومن المصادفة
 العجيبة والثوارد الغريب أن الفيلسوف الألماني الشهير « كانت » (١٧٢٤-١٨٠٤)
 (Emmanuel Kant) الذي ظهر بعده بمائة وثمانين سنة ، أبدى
 عدم ثقته بالعقل المجرد ، و قدرته على التعبير و الحكم متحرراً عن البيئة
 و المجتمع ، و التراث ، و العادات و المعتقدات (انظر كتاب نقد العقل
 المجرد (Critic of Pure Reason) و قد تقدم الامام الرباني
 خطوة و بحث في قضية الكشف المجرد و الإلهام المجرد ؛ لأنه سار على هذا
 الدرب ، و جرب هذه الأمور نفسه ، و أهل مكة أدرى بشعابها (اقرأ
 رسالته إلى الشيخ عبد الله و الشيخ عبيد الله من أبناء الشيخ الكبير عبد الباقي
 القشبندي الدهلوي - رقم ٢٦٦) - المجلد الأول .

و كل من جعل هذه « المكالمات و المحادثات الالهية » أو رؤية البارى تعالى شرطاً للهداية أو للنجاة، أو لكال الايمان (١)، و أسس على ذلك نبوة جديدة أو دعوة جديدة ، و ألزم ما لم يلزم ، و جنى على هذا الدين الذى هو عام للبشر جناية عظيمة ، و أفقده بساطته و سهولته ، وعمومه للبشرية ، و فتح باباً واسعاً للفساد والاضطراب والفوضى ، كما فعل المرزا غلام أحمد القاديانى ، فقد جعل « المكالمات و المحادثات الالهية » شرطاً لصحة الديانة ،

(١) كما فعل ذلك السيد محمد بن يوسف الحسينى الجوفورى (٨٤٧ - ٨٩١٠ هـ)

فادعى أن الانسان إذا لم يسعد بالشهادة الالهية و لم ير البارى تعالى بالعين أو بالقلب فى اليقظة أو فى المنام فليس بمؤمن ، و قد أحدث ذلك اضطراباً عظيماً فى المجتمع الاسلامى الممتد من شرق الهند إلى غرب أفغانستان فى القرن العاشر الهجرى ، و أصبح الشغل الشاغل للمسلمين ، العلماء منهم والصلطين ، و كان السيد المشار إليه صاحب صدق و عزيمة ، و استعداد باطنى عظيم ، و كان له شأن رفيع فى التأثير فى النفوس و القلوب ، و الدعوة إلى الله ، و إثارة مرضاته على غيره ، و الزهد فى الدنيا و أسبابها ، و الهجرة فى الله والأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ، إلا أنه شبه له فى فهم ماكان يكشف له أو يسمعه ، فادعى أنه « المهدي الموعود » الذى يظهر فى آخر الزمان ، و غلا فى دعوته ، و اشترط ما ليس بشرط ، وكلف المسلمين بما لم يفرضه الله عليهم ، و لم يطالبهم به (اقرأ ترجمته فى الجزء الرابع من نزهة الخواطر للعلامة عبد الحى الحسى) .

و نتيجة طبيعية للعمل بالأحكام الشرعية ، و السعى فى العبادة ،
و زعم أن الدين الذى لا توجد فيه هذه المخاطبات الالهية ، إنما
هو دين باطل و ميت ، بل هو دين الشيطان المؤدى إلى جهنم ،
و إذا كان أتباع دين لم يتشرفوا بهذه النعمة رغم عباداتهم و علمهم
بالأحكام الشرعية ، فأنما هم فى جهل و غواية (١) .

و تهافت هذا رأى و سخافته غنية عن الرد عليه ، و بسط
القول فيه ، و حسب القارىء أن الصحابة - رضى الله تعالى عنهم -
الذين كانوا زرع النبوة و غرس القرآن ، و الجليل المثالى فى تاريخ
البشرية ، و على أكتافهم قام الاسلام ، لم يدعوا هذه « المكلمات
و المخاطبات » و رؤية البارى تعالى بالعين أو القلب ، و لم ينسب
التاريخ إليهم ذلك ، و لم يعرف عنهم التنافس فيه أو الحرص
عليه ، أو التأسف على فواته ، فكيف بمن جاء بعدهم ، و لم يبلغ
شأوهم فى الدين و العلم (٢) .

و قد لوحظ فى التاريخ مراراً أن كل دعوة متطرفة قامت
على مثل هذه الدعاوى و الافتراضات و التجارب الشخصية ،
لم تقد إلا إنشاء طائفة متطرفة تنشق عن المسلمين و تنابذهم ، و قد

(١) اقرأ كتاب « براهين أحمدية » للرضا غلام أحمد القاديانى ج : ٥ ص ١٨٣ .

(٢) اقرأ للتفصيل كتاب المؤلف « القاديانى و القاديانية » الباب الرابع ، الفصل الثانى .

تكفرهم ، و تتحول على مر الزمان ديانة مستقلة ، و تصبح مشكلة جديدة في المجتمع الاسلامي و الانساني تعي كبار العقلاء و القادة حطها والتغلب عليها (١) ، و لا تخدم مصلحة من مصالح الانسانية و إصلاح النفوس و الدعوة إلى الله (٢) ،

الالهام الجماعي لمصلحة الاسلام و المسلمين :

و قد أكرم الله بنصيب كبير من « الالهام الجماعي » الذي لا خطر فيه ولا ضرر ، وهو أن يلهم عدد من أصحاب النفوس الزكية ، و القصد الصالح و العلم الراسخ الصواب فيما تحار فيه الآلالباب ، و تختلف فيه الآراء ، و السعي وراء عمل فيه مصلحة الاسلام و المسلمين و تقوية للدين و ذب عن حوزته ، فيشعرون باندفاع إلى القيام بهذا العمل ، لا يستطيعون له قهراً و لا دفعاً ، وكأثم مضطرون إلى ذلك محاسبون عليه ، فيبدلون في ذلك النفس و النفيس ، و يهجرون في سبيله راحتهم و لذاتهم ، و يرون في تحقيقه أكبر سعادة و أعظم لذة .

وقد يكون ذلك بعدد قليل كما وقع في قضية الأذان لعبد الله

(١) و قد عالجت حكومة باكستان هذه المشكلة بفصل الطائفة القاديانية عن المسلمين

واعتبارها أقلية غير مسلمة ، رسمياً ، وهذا عند كتابة هذه المقالة .

(٢) اقرأ تاريخ الحركات الهدامة في الاسلام و في الديانات الأخرى .

ابن زيد بن عبد ربه ، و عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ،
 فقد توافقت رؤياهما ، ولقن كل واحد منهما كلمات الأذان في المنام ،
 و وافق عليه رسول الله ﷺ و استحسنته ، فشرع الأذان الذى
 ينادى به للصلاة فى العالم الاسلامى اليوم (١) ، وكما وقع فى أمر
 ليلة القدر ، فقد روى الشيخان عن عبد الله بن عمر رضى الله
 عنهما أن رجالا من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر فى المنام فى
 السبع الأواخر ، فقال رسول الله ﷺ : « أرى رؤياكم قد
 تواطأت فى السبع الأواخر ، فمن كان متحريها فليتحرها فى السبع
 الأواخر » وقريب من ذلك أمر صلاة التراويح التى ثبت أصلها
 عن النبي ﷺ ، وقد تركها بعد ثلاثة أيام لثلاث تفرض على أمته
 فرضاً فشق عليها (٢) ، وكان المسلمون يصلونها فرادى ، فجمعهم
 عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه عليها ، وكانت إشارة عمر
 على ذلك إلهاماً من الله و توجيهاً منه ، فكان فى ذلك خير كثير ،
 و ألهم الله المسلمين المحافظة على هذه الصلاة بجماعة ، و الحرص
 عليها ، و ختم القرآن فيها ، و كان عاملاً كبيراً من عوامل حفظ

(١) اقرأ الحديث الطويل الذى رواه أبو داؤد و الترمذى والدارمى وابن ماجه .

(٢) اقرأ ما رواه البخارى ، عن عائشة رضى الله عنها فى « باب فضل من قام

رمضان » .

القرآن و المحافظة عليه ، و السبق فيه ، و إحياء ليلالى رمضان ،
و يرى الفرق و انخما بين أهل السنة الذين أحنوا بسنة التراويح ،
و بين الطوائف التى أنكرتها ، فى انتشار حفظ القرآن ، و تدارسه
و الاهتمام به .

وقد يكون ذلك بعدد كبير و جم غفير يستبعد العقل السليم
تواطؤهم على الكذب ، أو تأمرهم على الشره ، فيعود ذلك على
الاسلام و المسلمين بنفع عظيم و خير كثير ، أو تسد به ثلمة فى
نفر الاسلام ، أو يزال به و هن يدخل على المسلمين ، أو يحقق
مقصداً من مقاصد الدين العظيمة ، و من أمثلة هذا الالهام الجماعى
المبارك ، الذى ألهم به عدد لا يحصى كثرة من العلماء الراشخين
و العاملين المخلصين جمع القرآن فى المصاحف فى زمن أبى بكر ،
و جمع الحديث و تدوينه فى القرن الأول و الثانى إلى ما بعدهما ،
و استنباط الأحكام و الاجتهاد الفقهى من القرن الأول إلى عصر
المجتهدين و أئمة المذاهب فى القرون الأولى ، و وضع علم النحو ،
و علم القراءات ، و أصول الفقه ، إلى غير ذلك من العلوم
النافعة الضرورية ، لحفظ سلامة اللغة التى نزل بها القرآن ، و صيانة
القرآن من اللحن و الفوضى ، و كتأسيس المدارس و تأليف
الكتب ، و طرق نشر العلم ، و غير ذلك مما اقتضته الأحوال ،

و اختلاف الزمان و المكان .

و كالغاية بتزكية النفس و تهذيب الاخلاق ، و تبين غوائل
النفس و مكائد الشيطان ، و الربانية الصافية التي لا تشوبها البدع ،
حتى أصبح ذلك علماً مستقلاً ، و تخصص له رجال بلغوا فيه درجة
الاجتهاد ، و اعتبروه أكبر عبادة و أعظم جهاد ، فأحيى الله
بهم موات القلوب ، و شفى بهم أعلاء الأرواح ، و نشطوا في الدعوة
إلى الاسلام ، فانتشر بهم الدين الخفيف في أنحاء العالم البعيدة ،
و دخل الناس في دين الله أفواجاً ، و كان لهم فضل خاص في
انتشار الاسلام في شبه القارة الهندية (و خاصة في المناطق التي
لم يغزها جيش إسلامي كـ « كشمير » و « بنغال الشرقية ») و في
جزر المحيط الهندي ، وقارة إفريقيا ، و كان لهم فضل كذلك في
مقاومة قوى الباطل و كلبة حق عند سلطان جائر ، و مواجهة
الزحف الأجنبي (١) . و كالد على الفرق الضالة ، و الفلسفات
لالحادية المثيرة للشكوك و الشبه ، الناشئة للاضطراب في العقيدة
و الوهن في العمل ، و قد تجرد لذلك خيار المسلمين علماً و ذكاء ،
و مقدرة عليية و قوة إيمان ، فكان كل ذلك إلهاماً من الله ،

(١) اقرأ تفصيل ذلك في فصل « بطولة و كفاح » ، لا بطالة و استسلام ، في

كتابنا « ربانية لا رهبانية » ، طبع دارالفتح بيروت ١٣٨٨ هـ .

تكرم به جماعة كبيرة من المسلمين في كل دور من أدوار التاريخ الاسلامى ، و في كل مركز من مراكز العلم و الحضارة ، فكان دليلا على عناية الله بهذه الأمة التى هى آخر الأمم وأمل الانسانية ، و على مكاتها من الله ، و هذا الالهام الذى لم ينقطع ، و المردد الالهى الذى لم يتخلف ، دليل ساطع على ختم النبوة وانقطاعها بعد محمد ﷺ ، لا يوجد له نظير بهذا الوضوح والاستمرار فى الأمم السابقة ، إذ لم تكن فى حاجة إليه ، فقد كانت سلسلة النبوة مستمرة ، و النبوة باقية .

التفريق بين المسلمين :

إن البلبلة الفكرية و الاضطراب العظيم الذى تحدته هذه النبوءات الكثيرة المزعومة ، و ما يؤول ذلك إلى تفريق بين المسلمين وتمزيق وحدة الأمة الاسلامية ، يبعث فى كل قلب مسلم وحشة و قلقاً ، و لم يعود الناس فى هذا العصر الذى يتسم بسممة اللادينية و الالحاد ، أن يهتفوا بقولهم « أنا الحق ، و لكنه إذا نشأت هنا فى العالم الاسلامى « هواية » التنبؤ بتأثير المرزا غلام أحمد القاديانى ، و دعائه المتحمسين ، و ظهر رجال فى مختلف أرجاء العالم الاسلامى يرفعون راية « النبوة » ، و يكفرون الذين

لا يقبلون دعوتهم كنتيجة حتمية للنسبة ، فلا ينتج ذلك سوى بلبلة فكرية و فوضى دينية ، و اصطدام بين الأفكار ، و يتوزع العالم الاسلامى بين معسكرات مختلفة ، و تقع هذه الامة التى جاءت لمحو كل عصبية من اللون والجنس والوطن ، وإنشاء الأخوة الاسلامية ، فريسة التفريق و التكفير ، و العصيات الدينية (١) .

لقد أحس بخطر القاديانية الأستاذ محمد على اللاهورى (٢) ، و أبداه فى إحدى مقالاته بكل قوة و وضوح ، غير أنه لم يفكر أن فاتح هذا الباب إنما هو إمامه المرزا غلام أحمد ، و أنه هو

(١) و قد كان العلامة الدكتور محمد إقبال الشاعر الفيلسوف ، دقيق النظر جداً فى قوله المأثور : «إننا نعتقد أن الاسلام دين أوحى الله به ؛ ولكن وجود الاسلام كجمعية أو أمة يتوقف على شخصية محمد صلى الله عليه وسلم . و اعتقاد أنه كان آخر الرسل و خاتم النبيين ، وهو خط التحديد الدقيق بين الدين الاسلامى و البيانات الأخرى .

(٢) هو أمير الفرع اللاهورى الذى يسمى « الجماعة الاحمدية اللاهورية » و هو صاحب ترجمة القرآن الانجليزية المعروفة ؛ وتفسير « بيان القرآن » ومؤلفات كثيرة ، و هو لا يقول بنسبة المرزا غلام أحمد ، و يؤول ما صدر عنه من تصريحات فى هذا الصدد ، إنما يعتقد أنه كان « المسيح الموعود » ، و مجدد القرن الرابع عشر الأعظم ، و المصلح الأكبر .
اقرأ لمعرفة آرائه و تأويلاته فى القرآن ؛ الفصل الثالث من الباب الرابع من كتاب « القاديانى و القاديانية » .

أول شخص عرض فكرة استمرار النبوة كحركة و دعوة ، يقول
الاستاذ محمد علي يناشد أهل البصيرة و الانصاف :

« أنشدكم بالله ، إن صح الاعتقاد بأن النبوة لم تنقطع ، وأن
الأنبياء لا يزالون في غدو و رواح إلى هذا العالم ، كما صرح بذلك
محمود أحمد (١) في « أنوار الخلافة » ، أفلا تزال هذه الطوائف
التي تعد بالآلاف تكفر بعضها بعضاً ، وتغيب الوحدة الاسلامية ؟
نفرض أن هؤلاء الأنبياء يعيشون في الجماعة الاحمدية (القاديانية)
وحدها ، أفلا تمزق بذلك الجماعة الاحمدية نفسها ، إنكم لا تجهلون
السنن القديمة ، و تعرفون كيف كان الناس ينقسمون بين موافق
ومعارض على مبعث نبي ، إن الله الذي قضى بتوحيد شعوب العالم
و أممه ، أيمزق المسلمين و يقطعهم إرباً إرباً ، يكفر بعضهم بعضاً ،
و تتوتر بينهم العلاقات و الصلات ، و تصبح الأخوة الاسلامية
أثراً بعد عين ؟ اعلوا إذا كان الله قد وعد لهذا الدين بأن يظهره
على الدين كله ، و هو لا يخلف الميعاد ، فإن الاسلام لا يبطل
بهذه المحنة ، ولا يأتي يوم ينفرد كل نبي بحزبه ، وتتوزع المسلمين
دعوات مختلفة ، و رايات مختلفة ، ومراكز روحية مختلفة ، ويصبح

(١) هو نجل المرزا غلام أحمد القادياني ، و خليفته الثاني .

كهنتها محتكرين للإيمان و النجاة ، يكفرون سائر المسلمين (١) .
و الحاصل أن عقيدة انتهاء سلسلة النبوات ، و تعليم البشر
العقائد و الشرائع عن طريق الوحي و الملائكة و الروح الأمين ،
و ما تتوقف عليه نجاتهم في الآخرة ، على محمد بن عبد الله بن عبد
المطلب العربي الهاشمي القرشي — عليه ألف ألف صلاة و سلام —
و انقطاع النبوة و الأنبياء بعده ، و كونه خاتم الرسل ، و موضح
السبل ، و إمام الكل ، من أجل مواهب الله تعالى و نعمه على
هذه الأمة ، ورحمة بالانسانية الممزقة و ترفيه لها ، و توفير لجهودها
و طاقاتها ، من أن تضيع في غير سدى ، و فيما لم تكلفه ، و جامعة
لشمل هذه الأمة المحمدية ، حافظة لوحدها و أصالتها و قوتها ،
بائعة لثقتها بنفسها ، و صلاحية دينها و خلوده ، و اعتبارها نفسها
مسئولة عن اتجاه العالم و موقفه و مصيره ، حافزة على الإصلاح
و التجديد ، و الجهاد في سبيل الله في كل زمان و مكان ، و هو
الأساس المتين الذي يقوم عليه البناء الاسلامي ، كمجتمع و أمة ،
و رسالة خالدة .

ألد أعداء الاسلام :

لذلك كان ألد أعداء الاسلام و أدهام و أمكرهم ، و أضر

(١) رد تكفير أهله قبله . لمحمد علي . ص : ٣٤ .

على الاسلام و المسلمين ، و أنفع لأعداء الاسلام و الكائدين له
من ادعى نبوة جديدة — فى أى مفهوم من مفاهيمها — أو دعا
إليها ، و تولى كبرها .

و صدق الله العظيم :

« ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحى إلى ولم
يوح إليه شئ ، و من قال سأُنزل مثل ما أنزل الله ، و لو ترى
إذ الظالمون فى غمرات الموت و الملائكة باسطوا أيديهم ، أخرجوا
أنفسكم ، اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير
الحق و كنتم عن آياته تستكبرون ، ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم
أول مرة و تركتم ما خولناكم وراء ظهوركم ، و ما ترى معكم
شفعائكم الذين زعمتم أنهم فىكم شركاء ، لقد تقطع بينكم و ضل
عنكم ما كنتم تزعمون (١) » ،



إعلان هام

تمت الترجمة الأردنية لهذا الكتاب بإشراف المؤلف ، و هي
مائلة للطبع ، كما أن الترجمة الانجليزية للكتاب ستم عما قريب
— باذن الله — .

و نرجو الله تعالى أن يقوم « المجمع الاسلامى العلمى »
فى لكهنؤ باصدار الطبعتين الأردنية و الانجليزية فى وقت قريب ،
و هو الذى يملك حقوق طبع هذا الكتاب ، فارجو أن لا يعزم
أحد على ترجمته أو طبعه ما لم يحصل على السماح بذلك من المجمع
أو المؤلف .

مدير المجمع الاسلامى العلمى

ص . ب . ١١٩ . لكهنؤ (الهند)

النبيُّ المَحْمُودُ

بحث على ودراسة تحليلية في اختتام النبوة وانقطاعها بعد محمد ﷺ
في

ضوء الكتاب و السنة ، و تاريخ الديانات ، و فلسفة الاجتماع

بقلم

السيد أبو الحسن علي الحسيني الندوي

أمين عام ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

مطبوعات المجمع الاسلامى العلمى

رقم ٨٨

١٣٩٩ هـ المصادف ١٩٧٨ م

الفهرس

الصفحة	العناوين
١	الفهرس
١	كلمة المؤلف
٥	دين يبلغ ذروة الكمال ، وأمة تضطلع بأعباء خلافة النبوة
٦	إعلان انتهاء سلسلة النبوة على محمد ﷺ و انقطاعها بعده
٩	أساليب القرآن وطرقه في تقرير هذه الحقيقة وغرس هذه العقيدة
١٠	صفات لا تليق إلا بالنبي الخالد و الرسول الخاتم
١٢	القدوة الدائمة للأجيال البشرية كلها ، و كيف أمكن ذلك ؟
١٨	صلة الأمة الوثيقة الدائمة بمحمد ﷺ ، و ما يتصل به
٢٠	وصف القرآن للرسالة المحمدية و ما يقتضى ذلك
	عموم الرسالة المحمدية للأمم والشعوب و الطبقات ،
٢٣	و استغناؤها عن تطوير و تعديل
٢٩	الصحف السماوية السابقة و القرآن في ميزان العلم و التاريخ
٤٥	سكوت القرآن عن بعثة نبي جديد
٤٦	الأحاديث الصحيحة الصريحة المتواترة
	إجماع الصحابة و الأمة الاسلامية على انقطاع النبوة
٤٩	بعد محمد ﷺ ، و استبشاعها و رفضها لهذه الدعوى

- ٥١ اقطاع النبوة تكريم للانسانية و راقه بها
مشكلة كثرة المتنبيين في الديانات السابقة
- ٥٥ وخطرها على سلامة العقيدة ووحدة الديانة
- ٦٤ ختم النبوة نتيجة حتمية لوضع هذا الدين الكامل
حيوية هذا الدين ، و قوة توليده ، و إنتاجه
- ٦٥ للعارفين و أصحاب اليقين و المصلحين و المجددين
- ٦٩ اتصال تاريخ الاصلاح و التجديد في الاسلام ، و سره
جناية عقيدة استمرار النبوة أو « الامام المنتظر »
- ٧٠ على الشعور بالمسؤولية ، و قوة مقاومة الفساد
- ٧٣ رحمة بالامة الاسلامية و منة عليها
- ٧٤ الحارس من الفوضى الفكرية
- ٧٥ فضل عقيدة ختم النبوة على المدينة
- ٧٧ فتنة المتنبيين الكبرى
- ٧٩ فتنة « المكالمات والمخاطبات الالهية » ورؤية الباري تعالى في الدنيا
- ٨٣ الالهام الجماعي لمصلحة الاسلام والمسلمين
- ٨٧ التفريق بين المسلمين
- ٩٠ ألد أعداء الإسلام
